وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغـــــــــات

قســـــم اللغـــة والأدب العربـــــــي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي (ل. م. د)

الموسومة بـ:

الانتماء الحضاري في رواية التّيه

لـــ: عبد الرحمان مُنيف

من إعداد:

نزيهة بيازة

صادق ربيعي

إشراف الأستاذ:

إبراهيم زرقي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بوجمعة بوحفص	أستاذ محاضر – أ-	رئيســـــــا
إبراهيم زرقي	أستاذ محاضر –ب-	مشرفا ومقررا
الطاهر عبد الرزاق	أستاذ مساعد –أ-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019- 2020

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغـــــــــات

قســـــم اللغـــة والأدب العربـــــــي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي (ل. م. د)

الموسومة بـ:

الانتماء الحضاري في رواية التّيه

لـــ: عبد الرحمان مُنيف

من إعداد:

نزيهة بيازة

صادق ربيعي

إشراف الأستاذ:

إبراهيم زرقي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بوجمعة بوحفص	أستاذ محاضر – أ-	رئيســـــــا
إبراهيم زرقي	أستاذ محاضر –ب-	مشرفا ومقررا
الطاهر عبد الرزاق	أستاذ مساعد –أ-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019- 2020

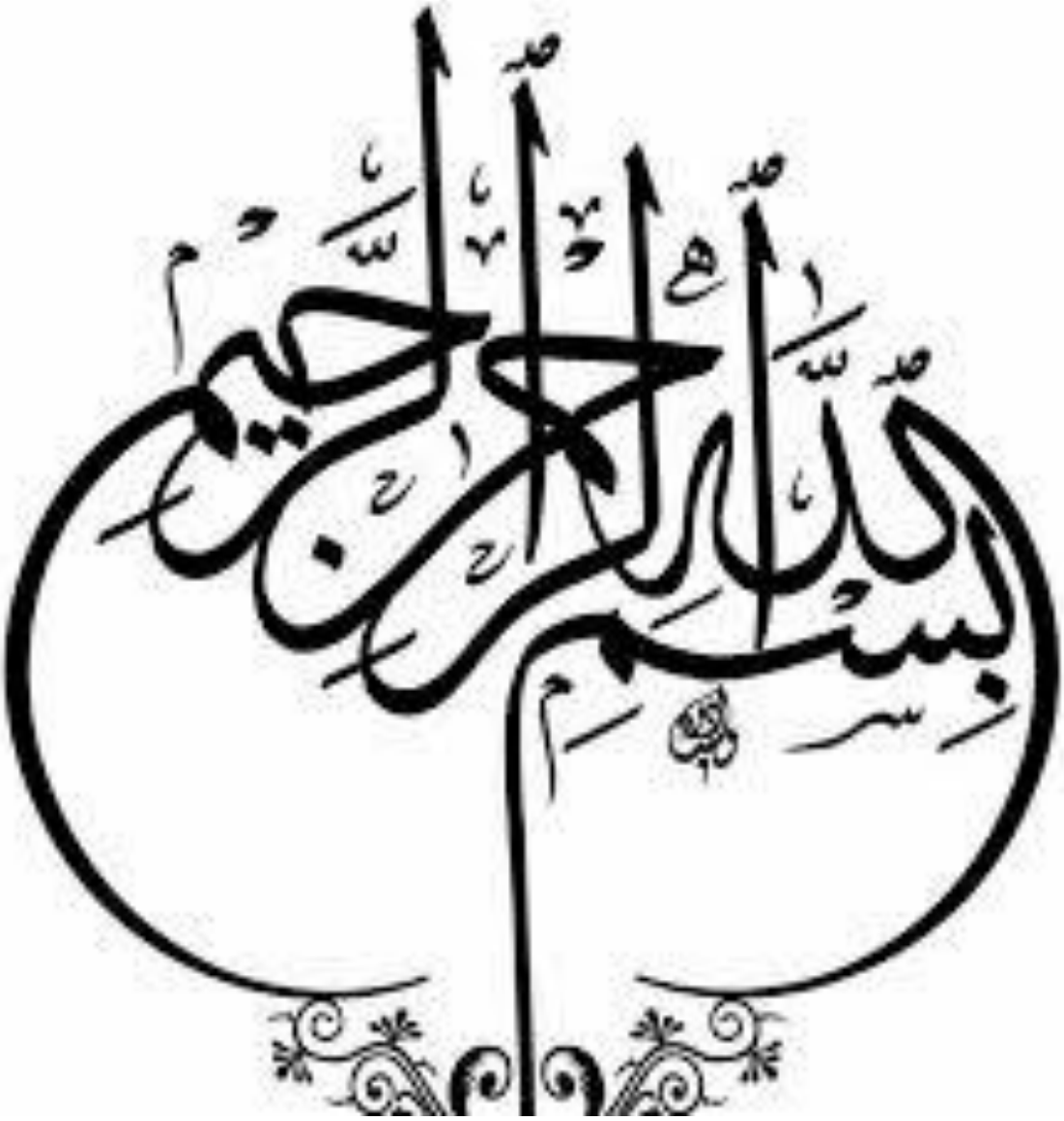
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد الله رب العالمين حمدا كثيرا مباركا فيه كما يجب ربنا ويرضى، كما ينبغي لكرم وجهه عز وجل

له حمدا لا ينقطع ولا يفنى، فالشكر له جل وعلا على أن وفقنا على إنجاز هذا العمل وعلى كل نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

نتقدم من خلال هذا العمل بالشكر والتقدير إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل قريبا كان أو بعيد.

ولا يفوتنا ان اشكر استاذي **المشرف زرقي ابراهيم** أكرمه الله وسدد خطاه وادامه الله خير مرشد وناصح.

دون أن ننسى تقديم شكرنا الجزيل وامتناننا وتقديرنا.

إلى الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم وتوجيهاتهم القيمة وفي الأخير أشكر الأساتذة أعضاء اللجنة على تشريفهم لنا بقبولهم مناقشة هذا الموضوع المتواضع، الذي نرجوا أن ينال رضا كل من يطالعه.

مقدمة

يعد الانتماء الحضاري من أهم الإشـكالات المطروحة قديما وحديثا، ويعود السـبب إلى أن المصـــطلح في حد ذاته يمتاز بالتعقيد وعدم الفهم، فثمة من أرباب الثقافة والفكر من يعطي تعريفات تخضـــع للبيئة التي تنتمي إليها أو المعتقد، ومن هنا تأتي وجهات النظر التي تعبر عن فئة تكاد تكون في الغالب معبرة عن جماعة النخبة فالانتماء في نظر الذين ينتمون للإسلام يختلف بالتأكيد عن أولئك الذين ينتمون لحضارات أخرى.

ومن هنا نجد ما يسمى بصدام الحضارات وهذا ما عبر عنه **صموئيل هيندجون** في كتابه الذي عنوانه صدام الحضارات.

والحق أن المتن الروائي الغربي وبعده العربي عمل على تناول هذه الإشـــكالية كل حســـب وجهته وقد أولى الروائي العربي اهتماما بهذه القضـــية ومن أبرز هؤلاء **"عبد الرحمان منيف"** في مجموعة من رواياته الأدبية.

أما الأســباب التي دعتنا لاختيار هذا العنوان المتمثل في **"الانتماء الحضــاري في رواية التيه"** لــلروائي والكاتب" **عبد الرحمان منيف"** وهذا راجع إلى أن الموضوع في حد ذاته يفتقر إلى دراسات تجلي غموضه وتوضح خباياه.

ولأن **عبد الحمان منيف** من أهم مبدعي المتن الروائي فقد عمدنا إلى اختياره نظرا لإنتاجه الذي حول هذه التيمة، بالإضـــافة إلى حبنا ورغبتنا الجامحة في الاطلاع على الرواية العربية التي تتناول الآخر.

وقد اعتمدنا المنهج الوصـفي التحليلي لأنه الأقرب إلى دراسـتنا والأكثر تماشـيا مع مثل هذه الموضوعات.

وإثراء بحثنا اعتمدنا خطة بداية **بمقدمة وفصـــل أول** وقد تناولنا فيه الأنا والآخر ومفهومهما والعلاقة بينهما وعلاقة المكان بالسـرد والانتماء، ونقاط أخرى تم التطرق إليها، ومحاولة وضع النقاط على الحروف.

أما الفصل الثاني فقد دراستنا تطبيقية بحتة، حاولنا من خلاله تقديم دراسة عن رواية **"التيه" "لعبد الرحمان منيف"**، وقد ركزنا على العناصـر الموجودة داخل الفصـل النظري ومحاولة تطبيقها على النص الذي بين أيدينا، وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج المستقاة من دراستنا التطبيقية.

وقد تلقينا صعوبات جمة أهمها:

-انتشـار الوباء العالمي ومنه ببلدنا الحبيبة، وتطبيقا إجراءات الحجر المنزلي جراء الانتشـار الواسـع لفيروس كوفيد 19، مما انجرّ عليه غلق المؤسسـات منها غلق المكتبات الجامعية والعمومية كذلك.

- ندرة المراجع والمصادر، وقلة البحوث الجامعية المقدمة في هذا المجال.

ومع ذلك فقد سعينا لإتمام هذا البحث فإن كانت ثمة نقائص فإننا نتمنى أن يستطيع غيرنا إتمامها في بحوث أخرى.

وأخيرا نتقدم بشكرنا الجزيل لأستاذنا المشـرف "**زرقي إبراهيم**" لأنه ظل طوال شـهور البحث متصـلا ومهتما وحاثًا ومشـجعًا ولولاه بعد الله لما اسـتطعنا إتمام هذا العمل، كما لا ننســـى اللجنة الموقرة التي تكبدت عناء تصـــفح هذه الورقات وقبولهم مناقشـــة العمل المتواضع.

الفصل الأول:

جدلية الآنا والآخر

1/ الفرق بين الأنا والآخر:

يمكن القول أنَّ العلاقة بين الآنا والآخر ترابطية إذ بحضـور الآنا إذ بحضـور الآنا يتبادر إلى الذهن وجود الآخر بمعنى المختلف لغة أو عقيدة أو شـــكلا أو أي اختلافا معنويا أو ماديا، فالآخر مرتبط بالذات ومن خلالها يتحدد مفهومه وطبيعة وجوده وبالإمكان القول أن **" الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي بذات".**[1]

فالذات هي المركز الذي يتم من خلاله تحديد ماهية الآخر ومن ثمة درجة اِختلافه ولا يتأتى ذلك إلا بالصورة المجسدة على أرض الواقع لأن ما نتخيله لا يكون دائما حقيقة مطابقة لم يختلج في أذهاننا **" فصورة الآخر بناء مشكل في المتخيل والخطاب أما الآخر فهو الكائن الذي يتحرك في الواقع".**[2]

إلا أن الجزم بأن صـــورة الآخر هي ما نتخيله في أذهاننا فقط وأن الواقع أمرًا آخرا يكون مجحفا فالصورة والواقع قد يتفقان تماما فيكون المتخيل صورة الواقع ذاته **"فكثير من الثقافات تعيش في الواقع بواســـطة المتخيل وأخرى تعيش في المتخيل الذي يعاش كالواقع أو هو الواقع المتخيل"**، ففي الغالب يلتبس الأمر على أفراد المجتمع حين يطابق الخيال الواقع وخاصــة عملية التخيل والذي يعنينا هنا هو صــورة الآخر في الذهن والفرق بينها وبين **"الأنا".**[3]

---

[1]–نادر كاظم، تمثلات الآخر، صورة السرد في المتخيل العربي البسيط، مملكة البحرين، ط1، 2004، ص 20.

[2]– المرجع نفسه، ص 21.

[3]– صـلاح صـالح، سـرد الآخر والآنا اللغة السـردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضـاء، المغرب، ط1، 2003، ص10.

إذا فعلى أي أساس يمكن التمييز بين **الأنا والآخر؟** والحق أنه من خلال الدراسات والوقائع يثبت لدينا أن ثمة أســـس تعمل على تحديد هوية الآخر من منظور الآنا إذ أن **"الوعي بالآخر يقوم على معطيين بديهيين هما: الأول أنه لا يوجد آخر من دون الوعي بوجوده والمعطى الثاني أنها لا توجد علاقة بالآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب"**[1]

وقاعدة الغالب والمغلوب هي الغالبة الآخر فمن خلالها يتم النظر للآخر على أنه أخر يختلف عنا فالصـــراعات القائمة بين الآنا المتمثل في أحد الطرفين مع اختلاف موازين القوى تكون في الغالب هي مركز الارتكاز في الخلاف والاختلاف فالمعطى الأســـاســـي للعلاقة القائمة بين الأفراد واختلاف وجهات النظر ينتهي في النهاية بوجود الغالب مقابل المغلوب ماديا أو معنويا ولكن القاعدة ليســـت جبرية إذ أن الكثير من العلاقات قائمة على أســـاس الندية مع أنها تخلو من وجود **الآنا والآخر** فالاختلاف قد يكون عرقيا أو دينيا أو ســـياســـيا وقِسْ على ذلك مثلا.. ف**عندما أقول (أنا) معبرا عن هوية معينة وذاتية محددة فإنني حقيقة الأمر إنما أتحدث عن شـــقيين متكاملين في علاقة جدلية معينة، شق ثابت و(شبه ثابت) وهو يشمل تلك الخصائص (الموضوعية) التي يعرفني الآخرون من خلالها... أما الشـــق أو الجانب الآخر للأنا فهو ذلك البعد المرئي، مني والذي لا يدركه ســواي"**[2] ومن هنا تبين أن الخط الفاصل بين الآنا والآخر لا يكاد ملموسا ففي الغالب لا يبرح المخيلة.

---

[1]– الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص 103.

[2]– تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ط1، بيروت، دار الساقي، 1999، ص193.

2/ مفهوم الآنا في الثقافة الغربية:

يذهب الغرب في تعريفه للآخر على أنه مقابل للذات ومن ثمة يرى بأن أي اِنتاج يتولد من طرف الآخر لا يكون إلا انعكاســا للذات المتمركزة والتي تعد مركز الرحى ومن هنا فإن **الآخر هو المقابل للذات وإن إنتاج الآخر هو إنتاج للذات".**

ونفهم من هذا القول أن الثقافات الغربية تنظر للآخر الذي لا تتوافق ثقافته وعقائده وأفكاره على أنه مشـروع دراسـة لاسـتكشـاف طبيعة اختلافه وتميزه وبالتالي معرفة الذات والحق أن الأبحاث الغربية المهتمة بالآخر لا تكون اِعتباطية وإنما الغاية ترجع بالنفع على هؤلاء ســواء لتصــحيح الأخطاء أو الاســتفادة من الجوانب الإنســانية الإيجابية وبالأساس نجد أن **" العلم الغربي يصحح تبسيطاته الخاصة وبالإجمال يوضح نفسه من خلال الآخر لابد له من أن يُعَّرف نفسه أولا فمن خلاله يتضح صحوة الآخر".** والحقيقة أن الشعوب حتى القبائل في السابق لا يمكن المضي قد ما لا إلا من خلال معرفة الآخر المحيط بها بمعنى أن الآخر المقابل للآنا يحتاج دائما إلى ذات وذات أخرى شــريطة الاِختلاف فإذا تم التوافق لم يعد ثمة ما يستوجب القلق.

إلا أننا نجد أن الغرب وسَّع من مفهوم الآخر وحدد بوصلته و من هنا صار كل من ينتمي للشــرق يعني الآخر بالنســبة للمركز المتمثل في الغرب بما فيه أوروبا وحين ندقق في التســمية نجد أنها لم تعد تعني **"وضــعا جغرافيا خالصــا، بقدر ما يعني كيانا ثقافيا واجتماعيا وسـياسـيا وعسـكريا"**[1] والواقع المعاش حاليا يؤكد بما لاشـك فيه أَنَّ تكتلات الغرب ســابقا كانت متمثلة في دول المحور مقابل دول التحالف أما حاليا فإن الغرب لم

[1]– برنارد لويس، الغرب والشرق الاوسط، تر: نبيل صبحي، د. د. ن، د. م. ن، د. س. ن، ص 34.

تعد تفصل بين شعوبه الفواصل والحواجز بل بالعكس نلمح ونلمس تحالفات وعرى تزداد وثاقة وتماسكا مقابل الشرق المتهاوي والمضمحل والأيل للسقوط إذا فالشرق والغرب كانا يمثلان كيانين تختلف قواهما ولكن الآن" **لم يعد الشـــرق والغرب اتجاهين على الأرض، بل أصبحا بالضبط تحديين ميتافيزيقيين**".[1]

ويحيلنا هذا المفهوم إلى أن التســـمية الجغرافية التي تعني أن الشـــرق يمثله الذين يعقون داخل حدوده والغرب يمثله أولئك الذين يدخلون ضـــمن جغرافيته لم تعد مطابقة تماما للتسمية الجديدة والتي ترى بأن الغرب يمثل الدول الأكر قوة والشرق الأكثر تخلفا.

فالغرب الآن واعتمادا على دراســـات المســـتشـــرقين يرون بأن الآخر والمتمثل في **"نحن"** هم أولئك البدو والأكثر تخلفا وهمجية ولكن الدارج لدى أكثر الناس أنَّ **"الشـــرق مفهوما يمثل نقيض الغرب، وليس له حدود، بل يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في ذاكرة الغرب، وداخل امتداده المباشر"**

والنظرة الغربية القاصـرة تجاه الآخر جعلت آفاق الرؤية لديه ضـيقة الأفق مما جعله لا يفرق بين العرب والعالم الإســـلامي **"لا في ذاكرته الثقافية الدينية التاريخية، ولا في رؤيته الحالية لمصالحه ومجال هيمنته".**[2]

فالإشـكال الواقع في تحديد مفهوم الشـرق والغرب هو نفســه الواقع حاليا تجاه مفهوم العرب والاســلام فالتخلف العربي بالنســبة للذات المركزية هو بالضــرورة تخلف الإســلام

[1]– عبد الله العروي، الايديولوجيا العربية المعاصرة، ط4، بيروت، دار الحقيقة، 1981، ص 08.

[2]– محمد عابد الجابري، مسـألة الهوية (العروبة والاسـلام... والغرب)، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص 139.

بجميع مكونات مجتمعاته والأصـــل أَنَّ المجتمع الإســـلامي لا يعني بالضـــرورة المكون العربي ولكن في المقابل يضل الغرب هو المقابل للشرق والعالم العربي والإسلامي **" ومع دلالته الشاملة فإننا نعني به (الغرب) تحديدا، وذلك بخصوصية علاقتنا به".**[1]

ومن مثل هذه المنطلقات يتبين لنا مفهوم الأنا لدى الآخر المتمثل في الغرب بمعنى الذات المركزية مقابل الهامش أو المحيط.

ويذهب **" نورالدين أفاية"** إلى أن الشـــرق برمته هو نقيض الغرب وبالتالي لا يمكن وضـــع حدود جغرافية تفصـــل بعض أقطاره عن بعضـــها لأن الشـــرق في نظر الغرب هو الرقعة التي لا تدخل في مساحته إلا أن الشرق الأقرب إلى جغرافية الغرب يُعَدُّ هو الأصل لأن الاحتكاك يســـــهل بين الطرفين **و"الشـــــرق مفهوما يمثل نقيض الغرب، وليس له حدود، بل يجوز أن يعني كل العلم الذي لا يدخل في دائرة الغرب، وداخل امتداده المباشـــر... لكنه اقتصـــر على الشـــرق الأكثر قُربا الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به، وهذا الشرق يضم العالم العربي وإيران وتركيا".**[2]

ويرى **عابد الجابري** أن العرب في عقيدته لا يفرق بين العرب والمســـــلمين لا ثقافيا وتاريخيا بل يذهب في هيمنته إلى أبعد من ذلك ولكن الإشـــكال لا يمكن في الغرب وحده بل نحن أيضـا سـاهمنا في أزمتنا إذ اتخذنا من تراثنا عدوًا والواجب حسـب "محمد خاتمي" أنه: **"لا مَفَرَّ من الاتكاء على التراث حتى في الصـــراع معه"**[3] **والحق أننا إذا عمدنا إلى**

---

[1]– المرجع السابق، ص 140.

[2]– محمد نور الدين أفاية، مرجع سابق، ص 95،96.

[3]– محمد خاتمي، الإســـلام والعالم، تقديم: محمد ســـليم العوا، مكتبة الشـــروق، القاهرة، كوالمبور، جاكرتا لوس انجلس، ط3، 2002، ص64.

تراثنا بالدراســـة والفهم حتما تحدد هويتنا وبالتالي يكون ثمة ما يميزنا عن الآخر وكلما ســـاءت علاقتنا مع الآنا المنضــوي داخل "نحن" كما فهم الآخر لنا أكثر سُــوءًا" وهذا راجع إلى أن واقعنا الإسلامي يفقد ذاتيته لثقافية وخصوصيته الحضارية "

ولكي تتضـــح صـــورتنا أمام الآخر يتوجب علينا نحن من خلال إدراكنا لواقعنا أَنْ نوقن بـأن الـدين يـدخـل في ثقـافتنـا وتحـديـد هويتنـا ومن ثمـة **"لا بـد أن نـدرك أن حوار الحضارات هو موضوع سياسي يقوم على قاعدة ثقافية تستدعي الدين بالضرورة، ومن ثمة فعلينا أن نحسن من توظيف البعد الثقافي كأداة من أدوات السياسة الخارجية".**[1]

والمعروف لـدى الغرب أن تمييز الآنـا لا يكون إلا من خلال وجود الآخر وبـالتـالي لابد من وجود أضداد وتناقضات واختلافات بين الآنا أو ما نطلق عليه بـــ **"نحن" والآخر** مختلف وبالتالي فإنه من الواجب التعامل مع القضـــية من خلال **"الانقســـام إلى شـــمال جنوب، إن لم يكن من شـــرق، غرب، من يملكون...، ليس بوســـعنا أن نتجاوز هذه الانقسامات كلها بالتظاهر بأنها غير موجودة".**[2]

ويرتكز الغرب على ثنـائيـة يعمـل من خلالهـا على التمييز بينـه وبين الآنـا وهـاتـان الثنائياتان تتمثلان في التفوق العرقي والتطور الحضـــاري لذلك نجد أَنَّ **"الهوية الغربية تقوم في تفوقها على غيرها منذ العصـــر الإغريقي إلى اليوم على التميز في مكونين، تَفَوُّق الشـــعب (العِرق)، تفوق الثقافة (الحضـــارة)... وباندماج هذين المكونين بفعل**

[1]– نادية محمود مصطفى، جدالات حوار "صراع الحضارات' (إشكالية العلاقة بين السياسي الثقافي في خطابات عربية وإسلامية)، مركز الحضارة والدراسات السياسية، القاهرة، 2006، ص14.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الإنشاء)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط6، 2003، ص 324.

التاريخ، بدأ الوعي الغربي يكشف عن نفسه ليتقدم إلى الآخر، متمركزا حول ذاته عرقيا وثقافيا".[1]

والآنا بالنسبة للآخر (الغرب) لا يتميز بأي خاصة حتى الحضارة العريقة التي حققتها الثورات والفتوحات الإسلامية هي بالنسبة للآخر مستنسخة من الحضارة اليونانية ففي نظره أنه **"لم يكن للحضارة العربية الإسلامية من أهميّة إلا لأنها وظفت المعطيات الإغريقية فيها"**[2] وهو بالتالي يرى أن الفضل يعود للإغريق فلولاهم لكانت الحضارة الإسلامية عدمًا والحق أنَّ **"الأنا"** بالنسبة للآخر الغربي لا يتمثل في العرب وأهل الإسلام فقط ولكن تعدى إلى غير ذلك، فمثلا هناك الخطر "الأصغر" والمتمثل في آسيا خاصة الصين والخطر الأحمر وهو العالم الشيوعي كما يوجد الخطر الأخضر (الإسلام) ويكاد يكون العالم الإسلامي هو الأنا الذي يراه الآخر عائقا ومحور الشرق حالات أخرى.

ويشير **"صموئيل هنتغتون"** إلى **"أنَّ مشكلة الغرب ليست في الأصولية الإسلامية، بل هو الإسلام في حد ذاته، لأنه حضارة يعتقد أصحابها بتفوق ثقافتهم، وإنَّ مشكلة الإسلام ليست مركز الاستخبارات الأمريكية، ولا وزارة الدفاع الامريكية، بل هي الغرب، لأنها حضارة مختلفة يعتقد أصحابها بعلوّهم وتفوق ثقافتهم"**[3]

---

[1]– عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف (البحث في نقد المركزيات الثقافية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الاردن، 2004، ص603.

[2]–المرجع نفسه، 601.

[3]– محمد دكير، الإسلام والغرب (شعر سنوات من المواجهة، المثاقفة، الحوار)، مجلة الكلمة، ع26، 2000، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث .http//: w ww. kalema. Net/ v1/ p2, 162 sart /20/08/2020

ومن هنا خلقت نظرة المسلم لهويَّته واعتَاد باعتقاده الديني مشكلة لدى الآخر الغرب والمتأمل في أحكام الغرب تجاه الآنا (العرب) فإنه يتضـــح لديه أن نظرته إلينا قاصـــرة وسطحية وهي في الغالب متأثرة بالفكر الاستشراق فـــ **"حتى يومنا وردود الأفعال الغربية الحديثة إزاء الإسـلام يسـيطر عليها نمط تفكير تعرض للتبسـيط بصـورة جذرية، مازلنا نستطيع ان نطلق عليها صفة التفكير الاستشراقي**".[1]

ومن هذه المنطلقات يثبت لدينا أن الأنا بالنســـبة للآخر هو الإســـلام وبالتالي المجتمعات المسـلمة هي مشـكلة بالنسـبة للغرب حتى في رواياتهم وأدبهم ورسـوماتهم نجد تأثرا بالمسـتشـرقين الأوائل مثل **"باشـلار" و"بروكلمان"** خاصـة في الحركة الأدبية وما يتعلق بالتراث، وحين يضـع الغرب تذكارات ترمز لعظمة بعض الشـخصـيات فإنه لا ينس أَنْ يُضِـيفً علامة خاصـة بالمسـلم تعمل على تشـويهه فمثلا في إحدى المحاكم الأمريكية نجد **"رخاما يَحمل نقش 18 صـــورة لعظماء البشـــرية، من بينهم النبي موســـى عليه السـلام وكونفوشـيس والملك " شـارلمان" والرسـول ص يحمل بيده المصـحف الكريم، ويبدأ..."**.[2]

والمعروف أن أكثر المسـتشـرقين يرون بأن الإسـلام جاء بالسـيف ومن ثمة يذهبون إلى أن دعوة النبي قامت على أمرين الدعوة والسيف وهذا باطل في حقيقة الأمر.

[1]– عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلافات، مرجع سابق، ص 74.

[2]– التهامي الهامي، الفكر الاستشراقي والاسلامي، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2010، ص 31.

3/ ثنائية الإسلام والآخر:

العالم اليوم منقسم شرق وغرب والحق أن الآخر والمتمثل في الغرب أو الأجنبي كان لا يزال ينظر "للآنا" على أنه يمثل الفكر الأصولي الإسلامي وهذه الثنائية خلقت إشكالية كبرى لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم وهذا الخلاف راجع إلى رواســـب تاريخية وايديولوجية قديمة ومعقدة وبم أنَّ الدين يُعَدُ منظومة فكرية والمتمثلة في الإســـلام فإن الغرب يتعامل معه من منطلق ايديولوجي صرف" والسبب أن الغرب أكبر المسيحية، وأنه تخطى مرحلة الدين المسيحي، وهو الدين الأساسي في الغرب، وأنَّ عالم الإسلام، على الرغم من تنوع مجتمعاته وتواريخه ولغاته لا يزال غارقا في الدين، وفي الحياة البدائية والتخلف، والافتراض يعني إذن أنَّ الغرب حديث الطابع، وأكبر من مجموع أجزائه، وحافل بالتناقضـــات البشـــرية المثرية، ومع ذلك فهو دائما ذو هوية ثقافيّة غربيّة"، وأَمَّا عالم الإسلام، فهو يتجاوز مصطلح "الإسلام"، وقبل الاختزال في عدد محدود من الخصائص الثقافيّة رغم ما يبدو فيه من تناقضات وخيرات التَّنَوُّع التي تبدو على السطح بالكثرة التي يتميَّز بها الغرب[1] ومن هنا فإنَّ الغرب ينظر إلى الإســـلام على أَنَّهُ عثرة أما التّقدم والتّطور، خاصــة الأن حيث انْحَصَرَ الغرب أو الآخر في (أمريكا وإسرائيل) مما وَسَّعَ الهُوَّة وضَيَّقَ أُفُق التَّقَارُبِ والانسجام، فحين كانت أوروبا مسيطرة على العالم كانت ثمة محاولات لفهم (الآنا) الإسلام رغم الحقد المتغلغل في الآخر والدليل أنه **"حتى وقت قريب كانت فرنســا وانجلترا مثلا تمتلكان إمبراطوريات إســلامية شــاســعة/.../ وتراثا طويلا**

[1]– إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، المرجع السابق، ص80

متصـــلا من الخبرة المباشـــرة بالعالم الإســـلامي، ويتجلى هذا في البحث الأكاديمي الأوروبي المتميز الذي نسميه الاستشراق".[1]

ولكنَّ الأمرَ يختلف بالنسبة لأمريكا لأنها كانت ولا تزال تتعامل مع العالم الإسلامي بهمجية وهي نفس السياسة التي تستعملها مع غير الأمريكي والسبب في ذلك يعود إلى أن **"الإسـهام الأمريكي تحديدا في تاريخ الاستشراق يُمْكِنُ التَّأْرِيْخَ له بصورة تقريبية بالمرحلة التالية للحرب العالمية الثانية عندما وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في الموقع الذي كانت بريطانيا وفرنســا قد أخلتاه من عهد قريب"**[2] مما يدل على أن التجربة الأمريكية كانت من قبل محدودة جدا وحين ســيطرت على مناطق إســلامية لم تعمل على الاحتكاك بـ" الآنا" مما ولد نزاعات دائمة خاصة في افغانستان والعراق...

ويكاد مفهوم الآنا والآخر الآن ينضــوي تحت مفهوم (إســلام – أمريكا) بمعنى الأنا الإسلامي والآخر الأمريكي أو بمعنى أدق ثنائية الإسلام وامريكا وكما أشرنا سابقا فإن ماضي أمريكا وتقوقعها حول نفسها قبل الحرب العالمية الثانية جعلها بعيدة كل البعد عن فهم الإســلام كدين منفتح على الآخر يدعو للســلم ولا يســتعين بالقوة إلا حين يجد نفســه مضطرا لذلك. ومن هنا فإن **"عدم وجود الماضي الإستعماري أو الاهتمام الثقافي طويل الأمد بالإسلام في أمريكا يزيد من غرابة انشغالها إلى حَدِّ الهَوَسِ حاليا به، إذ إن عدد الأمريكيين الذين يتمتعون بخبرة التعامل المباشر مع المسلمين بالغ نسبيا".**[3]

---

[1]– إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، المرجع السابق، ص85.

[2]– إدوارد سعيد، الاستشراق، المرجع السابق، ص 290.

[3]– إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، المرجع السابق، ص 84.

والذي يتبادر إلى الذهن أَنَّ أوروبا درست الشرق قبل الوُلُوجِ إليه بينما أمريكا دفعتها القوة والغطرسة إلى الاندفاع دون دِرَايَةٍ مسبقة مما ولد عداوة مباشرة فازداد التصادم السياسي والعقائدي فأمريكا مقابل الإسلام تمثل الصليبية الساعية إلى السيطرة على العالم، إيديولوجيا واقتصاديا وعقائديا إلا أَنَّ هذه الثنائية لا تتوقف عند أمريكا وحدها بل تتعداها إلى أوروبا ممثلة خاصة في بريطانيا حيث أن **"هناك سوء فهم شديد بين العالمين الإسلامي والغربي هنا في بريطانيا (...) إِذْ علينا أن نُمَيِّز بين الأصولية المتطرفة وبين الصَّحْوَةُ الدينية التي تجعل المسلمين يتمسكون بقيمهم ومثلهم العليا (...) إن التطرف ليس حكرا أو خاصا بالمسلمين فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحي وتطرف يهودي في نفس الدرجة"**[1]

بالإضافة إلى امريكا وبريطانيا فإن تمت ثنائية أخرى بين العرب وإسرائيل وإن كان هذا التنافر قد قلت حدته عما كان سابق والحقيقة أن الفكرة الصهيونية **"قد كرست عزل اليهود عن الآخرين، وأكدت أهمية الاهتمام بالهوية القومية والحفاظ عليها، وعدم الذوبان في (الآخر) أو الاندماج معه"**.[2]

وهذه الثنائية بالذات المتمثلة في العرب المتمثلة في (الآنا) وإسرائيل التي تعني الآخر هي في الاصل إشكالية بين الإسلام والتلمود وبالرغم من أَنَّ التلمود حركة فكريّة

[1]– عبد الودود شلبي، الإسلام والغرب (خواطر وتجارب وذكريات)، دار الآداب، القاهرة، مصر، 2004، ص 115–117.

[2]– رقي العلواني واخرون، المرجع السابق، ص71.

دينيّة إلَّا أنه تحول إلى سياسة دولة حيث **"ترتكز تعاليم الحركة الصهيونيّة على ترسيخ مفهوم (القومي لليهودي)"**.[1]

ومع أن التّلمود ليس كلا موحدا أو متجانسا ولا يُعَدُّ الكتاب الذي يسير على هداه جميع اليهود إذ أن **"التلمود ليس كلاً متجانسا كما أن اليهود ليسوا على معرفة بما جاء فيه ككل، وهو لا يُحدّد سلوك كافة اليهود في كل زمان ومكان"**.[2]

وكما أن القرآن والأحاديث النبوية توجد فيها علامات ودلائل على الآخر وهو مخالف لنا في عقيدتنا بالنسبة للمسلم الآخر هو المنكر لما جاء به الإسلام وهذا ما نجد له مقابلا في الديانة المسيحية إذ أن نصوصها مستمدة من الكتاب المقدس والذي يعد أساس المسيحية ولذلك نجد أن **"رؤية الكنائس للمسيحية للآخر وللعلاقة بالآخر، هي في أساسها واحدة مشتركة بين الجميع، وهي نابعة مِنَ الكتاب المقدس ومن أساسيات الدين المسيحي"**.[3]

مع أَنَّ الكتب العقائدية تختلف بين اليهود والمسيح إلا أنَّهَا تقترب أو تتلاقى في نظرتها إلى الآخر **"فالعهد الجديد محوره شخص ياسوع المسيح ذلته، والنظرة إلى الآخر تظهر "أولا" في أقوال المسيح ومواقفه"**.[4]

---

[1]– المرجع السابق، ص 73.

[2]– عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية (دراسة في الحركات اليهودية– الهدامة والسرية)، دار الشروق، ط2، القاهرة، مصر، 2001، ص 34.

[3]– رقي العلواني وآخرون، المرجع السابق، ص 81.

[4]– رقي العلواني واخرون، مرجع نفسه، ص 85.

وبما أن الكتب التي تحمل اعتقادا دينيا سواء كانت منزلة أو موضوعه فالقرآن منزل وما هو موجود من ديانات مسيحية ويهودية هي في الأصل من وضع البشر، فإنها جميعا تهتم بالآخر سلبا أو إيجابا وبالتالي لا يمكن الجزم بأن الأنا يكون دائما متجانسا كما أن الآخر يختلف في داخله إل أن (الأنا) يصير موحدًا إذا انطوى تحت لواء الإسلام فمهما اختلفت الأجناس والأفكار تظل العقيدة واحدة والهدف المنشود يجمع الجميع فالآخر وبالنسبة للقرآن ونقصد الإسلام يختلف فيما بينهم **"إما أن يكونوا ممن لديه كتاب مُنزَّل مُحقَّق، مثل اليهود والنصارى، وممن له شُبْهه كتاب مثل المجوس والمانويّة، وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل: الفلاسفة الأول، والدهرية، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة".**[1]

فالإسلام يرى بأن ممن لم يعلن وحدانية الله يكون منكرا أو كافرا وبالتالي يدخل ضمن (الآخر) وتحديدا **"يمثلون المشركين من قريش، والمشركين من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى".**[2]

وبما أن الآخر المتمثل في قريش لم يعد قائما فإن المشرك واليهودي والنصراني كل هؤلاء لا يزالون على وجه الوجود وبالتالي فالآخر بالنسبة للأنا المسلم هو هؤلاء جميعا، على أَنَّ الإسلام لا يمنع الاختلاف إذ أَنَّ **"الرؤية الاسلامية العقدية والفكرية، والتي**

[1]– الشهرستاني، الملل والنحل، تر: محمد سيد كيلاني، بيروت، لبنان، 1986، ج1، ص 37.

[2]– نادر كاظم، تمثلات الآخر (صورة السرد في المتخيل العربي البسيط)، المؤسسة العربية للدراسات وانشر، بيروت، لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004، ص116.

تجسدت في تاريخنا الحضاري واقعا معاشا عبر القرون، ترى أَنَّ الأصل والسُّنة والقاعدة هو التنوع والتمايّز والاختلاف".[1]

وهذا راجع لطبيعة البشر في الاختلاف ولحكمة لا يعلمها إلا الله فـــــــ **"اختلاف البشـر في شـرائعهم هو أيضـا واقع بمشـيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته، لقوله تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا".**[2]

فالإسـلام لا يريد من الآخر أنْ يكون الأنا رغما عنه وإنَّما بالتي هي أحسـن إذ نجده يكفل الحرية للجميع وهذا ما نجده في صـــحيفة المدينة التي وضـــع فيها النبي أُســـس التعايش السـلمي **" المشـترك بين الطوائف المدينة سـواء كانت قبلية كما يمثلها الأوس والخزرج، أم دينية كما يمثلها اليهود والمسلمون".**[3]

فالآخر في الإســـلام ظل مكفول الحرية يتمتع بنفس الحقوق التي يقتضـــيها العدل مادام مســـالما وملتزما بالحرية وكذلك أهل الذِّمة فقد **" كان أهل الذمة المســـيحيون والزرادسـيون واليهود والصـائبون يسـتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة عالية من التســـامح، لا نجد لها نظيرا في البلاد المســـيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم"**[4]

---

[1]– محمد عمارة، الاسلام والآخر (من يعترف لمن، ومن ينكر من؟)، دار الشروق الدولية، ص17.

[2]– كارم السيد غنيم، المرجع السابق، ص 75.

[3]– معاذ بن عامر وآخرون، ص

[4]– ول ديورانت، قصـة حضـارة (عصـر الايمان)، تر: محمد بدران، دار الجيل للنشـر والطبع والتوزيع، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ن تونس، م3، ج2، ص 130.

ومن هنا يتأكد لدينا بأن الآخر في الإسلام لَيْسَ عدوًا وإن كان مخالفا لعقيدتنا وإنما هو واحد منا شـــريطة الإلتزام بالســـلم فإن تعداه لغير ذلك يتوجب على المســـلم المقابلة بالمثل، والمتمعن جيدا في مفهوم الأنا والآخر يجد أنه في الأصـــل فكرة إيديولوجية لا علاقة لها بالعقيدة.

ومن هنا فإن هذا التضييق خاضع للأفكار الإيديولوجية ويُمْكِنُ حصر هذا المفهوم في **"تصـنيف اسـتبعادي يقتضـي إقصـاء كل مالا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة، سواء كان النظام قيمًا اجتماعية أو اخلاقية أو سياسية أو ثقافية، ولذا فهو مفهوم مهم في آليات الايديولوجيا".**[1]

ومن المفهوم أَنَّ الإيديولوجيا هي علم الافكار كما عرفها **"دي تراسي"** وبما أن انها علم الافكار فهي متغيرة غير ثابتة او لنقل متغيرة متجددة فالإســـلام في تعاليمه يدعو للوحدة والتأخي لأن الله خلق الناس جميعا من ذكر وأنثى وجعلهم شـــعوبا وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم وبالتالي لا يُفرق الإسلام بين الناس إلا بالعمل الصالح والتقوى والمخالف لأمر الله لا يجب قتله لأنه لا إكراه في دين الله.

"فالآخر في أكثر معانيه شـيوعا يعني شـخصـا آخر، أو المجموعة أسـتطيع (أو يسـتطيع) تحديد اختلافي (أو اختلافنا) عنها، وفي مثل هذه الضّـديَّة ينطوي هذا تحديدا

[1]– ميقان الرويلي وسـعد البازغي، دليل الناقد الأدبي (إضـاءة لأكثر من سـبعين تيارا أو مصـطلحا معاصـرًا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص21.

على التقليل من قيمة الذات أو الهوية، ويشـــبع مثل هذا الطرح في تقابل الثقافات خاصة، وهذا ما يسود عادة في الخطاب الاستعماري". [1]

إلا أَنَّ الآخر الآن لم يعد مفهومه كما كان سـابقا إذ صـار المسـلم اليوم يعتقد أ ن أمريكا وإسرائيل هما الآخر ويمكن مقابلة إضافة بريطانيا. لكن في العموم يظل الغرب هو الآخر وإن انحصر فيما ذكرنا سابق.

"مع بداية العصر الحديث ضاق مجال الآخرية وانحصر في الغرب، فأصبح آخر "النحن" غربا، لينحصر في الزمن الراهن في أمريكا وإسرائيل وبريطانيا، وهذا ما يؤكده البحث الميدان"[2]

إذا ففي النص القرآني المقدس لا توجد فروقات بين الأنا والآخر من بالتقوى وليس ثمة إكراه في الرأي أو الاعتقاد فالمشكلة أساسا في أذهان الغرب خاصة أمريكا وإسرائيل وهي نزاعات ســياســية جغرافية تســلطية. أمَّا الإســلام فإنه عمل على الدعوة للتحاور والمحاورة والحوار بالتي هي أحسن.

وبالتالي نلمس الاختلاف بين مفهوم الأنا والآخر في الثقافة الإســلامية التي تختلف عن نظيرتها عن نظيرتها في المجتمعات الغربية، فالإســلام حدد الآخر في كفره وجحوده ومخالفته ومحاربته للذين يؤمنون بالله ويعتقدون بأن الإسلام هو الأصل، وبالتالي فــالأنا هنا ينظر للآخر بأنه كل من يخالفه في المعتقد.

---

[1]– المرجع السابق، ص 22–23.

[2]– سعيدة السعدي وآخرون، فهم الذات، دار سحر للنشر، الجزائر، 2007، ص92.

4/ الحوار مع الآخر:

المتفق في النص القرآني والذي ترتكز عليه العقيدة ويستمد منه تعاليم الدين الصحيح فإننا نجد أَنَّ الدعوة للحوار قائمة دائما مع إرفاقها بالحسنى وأن الجدال منبوذ إلا إذا كان مصحوبا بالتي هي أحسن فالإسلام لا يحبذ " حوار الطرشان" لما فيه من مضيعة للوقت ولأنه **"دين الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان"**[1] وليستدلوا على ذلك من قوله تعالى: **"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ"**.[2]

إلا أن الاشكال يمكن في عدم فهم الآخر للنص القرآن ولتعاليم الإسلام وقد زاد الطين بلة أولئك الذين ينتمون إلى (الأنا) ولكن تأثرهم وانبهارهم بالآخر جعلهم حرية في ظهر الإسلام وتعاليمه وبالتالي كانوا سببا في سوء فهم الآخر للأنا فجاءت خطاباتهم جوفاء أو عارية من الحقيقة إذ **"لم تستطع هذه الخطابات التقدم بهذه المهتمة بسبب الانبهار والتحيز وفقدان الثقة بالذات"**.[3]

وقد حاول هؤلاء تشويه الصورة الحوارية للإسلام لكن أفكارهم ظلت حبيسة طبقة القلة المثقفة المنبهرة بالآخر وهذا ما أشار إليه حسن حنفي بقوله بأنها **"ثقافة صفوة لا**

---

[1]– محمد مسعد ياقوت، الإسلام ودوره في مشروع حوار الحضارات، http://Saaid.net/ arbic/ 167.Htm (29/08/2020)

[2]– الآية 64 السورة آل عمران.

[3]– زكي الميلاد، تركي علي الربيعو، الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، 1998، ص46.

تشـمل الواقع كله ولا أن تصـبح بديلا عن الثقافة الموروثة إنها ثقافة التحديثيين، غير معروفة أو مألوفة إلا للمثقفين من الصفوة المختارة التي أتيح لها الاطلاع عليها".[1]

ولكن قبل محاورة الآخر يتوجب علينا فض مشـــاكلنا وتوحيد وجهات النظر داخل المجتمع والأمة الإسـلامية ومن بعدها محاورة الآخر من منطق النّد للنّد لا فوقية ولا دونية **"لابد أن نســـعى إلى تحقيق تحالف منظم بين المســـلمين والمســـحيين في الدائرة الحضـارية العربية الإسـلامية للتوصـل لمنظومة قيمة تعكس المشـترك الإنسـاني القيمي الذي يُمَيزنا معًا كطرف متماسك في الحوار مع الآخر الغربي".**[2]

فالإســلام دين تأخي ووئام فالذي يجنح للســلم لابد أن نجنح له وهذه مهمة رجالات الفكر الحر البعيد عن الايديولوجيا **"وإن كان هذا العمل عسيرا إلا أنه قابل للتحقق".**[3]

يبقى الإشــكال القائم متمثلا في تأثر الغرب بالحركة الاســتشــراقية وعلينا نحن لكي تتضح صورتنا أمام الآخر أن نقدم صورة حقيقية من خلال العمل الأدبي والروائي وخاصة الرواية التي باتت حقلا يتســـع لجميع الأفكار بالإضـــافة إلى تميزها بالمرونة والطوعية الفكرية.

---

[1]– أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر (قراءات تغذية في فكر حسن حنفي)، سلسلة رواد الفكر العربي المعاصر (1)، 1997.

[2]– نادية محمود مصطفى، جدالات حوار صراع الحضارات (اشكالية العلاقة بين السياسي الثقافي في فضاءات عربية وإسلامية، مركز الحضارة والدراسات السياسية، القاهرة، 2006.

[3]– المرجع نفسه، ص 125.

5/ الانتماء الحضاري:

من المعلوم أن الانتماءَ الحضـــاري كان ولا يزال نقطة محورية في تفكير الشـــعوب واعتقاداتهم وهو ما يُوَلِدُ صراعًا بين المجتمعات بل وحتى داخل المجتمع الواحد من خلال الانتماء للقبيلة والطائفة إلا أنَّ الانتماء لابد أن يكون مفخرة لأنَّه **"بالنســـبة للأُمم والشعوب، كالنسب بالنسبة للأفراد".**[1]

وبالرغم من انتماءنا الحضارّي للإسلام إلا أن **"قِوى الهيمنة الغربية قد سعت إلى محو انتماء أمتنا الحضاري للإسلام، وعملت على إلحاقنا بالمركز الحضاري الغربي، لتجعلنا في الحضـــارة وتابعين ولقطاعً وهذا الســـعي الغربي لطمس هويتنا الحضـــارية وإلحاقنا بالمركز الحضاري الغربي هو سعي قديم، وَمُوْغَل في أعماق التاريخ".**[2]

وتعود محاولة الغرب لطمس هويتنا الحضـارية وإلغاء الأنا من خلال سـيطرة الآخر إلى ما قبل الإسلام إذ "غزا الغرب الإغريقي والروماني والبيزنطي الشرق لمدة عشرة قرون (من الإســكندر الأكبر" 610-641م)" – في القرن الســابع للميلاد- ولقد حاول الغرب اعتمادا على الهمجية والقهر وفرض الأمر الواقع من خلال **"فرض الثّقافة الهيلينية بدلا من الثقافات الوطنيـة الشـــرقيـة وفرض الحروف اليونـانيـة على اللغـة الهيلوغرافيـة المصرية، واضطهد النصرانية الشرقية في عهد وثنيته".**[3]

---

[1]- محمد عمارة: الانتماء الحضاري للغرب؟ أم الإسلام؟، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009، ص6.

[2]- المرجع نفسه، ص6.

[3]- المرجع نفسه، ص 6.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فاستغلتها القوى الاستعمارية من خلال فرضه على العالم العربي الإسلامي **"اسما جديدا ينفي هويته العربية الإسلامية ويجعل منه مجرد جغرافيا تسمى باسم موقعها الجغرافي من المركز الغربي... فالجغرافيا الأقرب للمركز الغربي هي الشرق الأدنى والجغرافيا الأبعد من المركز الغربي هي الشرق الأقصى والجغرافيا الواقع بينهما هي الشرق الأوسط ".**[1]

وبقدر ما سعى الآخر لمحو هوية الآنا فإنه عمل من خلال هذه التسميات إلى زرع الكيان اللقيط المسمى إسرائيلا فإذا قيل مثلا الشرق الأوسط فإن إسرائيل داخلة ضمنه **" إذا فهي معركة (قديمة جديدة) تلك التي دارت ولا تزال دائرة، حول نسب هذه الأمة وانتمائها الحضاري".**[2]

ولعل أول من سعى إلى تغيير الهوية الحضارية الإسلامية هو "نابليون بونابارت" إذْ ادَّعَى أتباعه أَنَّ "نابيلون" يعبد الله أكثر من المماليك وأنه يحب النبي عليه الصلاة والسلام إذ قال في إعلانه الأول للمصريين **"إن الفرنساوية مسلمين خالصين وإنه (أي بونبارت) أكثر من المماليك يعبد الله –سبحانه وتعالى – ويحترم نبيه محمد والقرآن العظيم".**[3]

[1]– محمد عمارة، الانتماء الحضاري للغرب؟ أم الإسلام؟ مرجع سابق، ص 7–8.

[2]– المرجع نفسه، ص8.

[3]– المرجع نفسه، ص10.

والهوية عند الآنا يمكن أن تكون غير الإسـلام لأن الهويات الأخرى متقاربة أو على الأقل قابلة للتماشي مع الآخر في المقابل يظل الدين الإسلامي مستعصيا لا يقبل التدجين فـ **"دول الشرق لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير دين الإسلام".**[1]

وبم أن الإسـلام يرفض التدجين فهو بالتالي لا يقبل بالحضـارة الغربية التي تسـعى لإلغاء (الآنا) مقابل ترسـيخ قدم الآخر لذلك نجد أَنَّه **"رفض اسـتعارة النموذج الحضـاري الغربي... واسـتنكر التسـول على مائدة المدنية الأوروبية... داعيا إلى الانتماء إلى (النور الإسـلامي) وإلى أن نضـيء به جانبا من جوانب الثقافة العالمية في المدنية والقانون".**[2]

وبالرغم من انجذاب رحالات الفكر العربي إلى الحضـارة الغربية إلا أَنَّ جهودهم لم تَسْتَطع أَنْ تقنع **(الآنا)** بالانجذاب بالآخر إلا قلة كانت ولا تزال أقليَّة أمام العامة فـ**طه حسين** مثلا يرى بأنه **"ليس لنا بد من أن نسلك سبيل الأوروبيين في هذه الحياة التي استعرناها أقول: إننا أخذنا في هذا العصر الحديث نسلك السبل الأوروبية في كل فروع الحياة، ونعدل عن حياتنا القديمة عُدَولا يوشك أن يكون تاما".**[3]

ولولا الإسـلام الذي ميز وحافظ على الانتماء الحضـاري **(للآنا)** لكانت الأمة العربية مسخا أو مسخًا بالتالي فإنه من الواجب لكي نظل نحن ولسنا الآخر أن نحافظ على هذه القوة التي تجعلنا نتفق في وجه الآخر دون أن نحس بالدونِيّةِ.

[1]– محمد عمارة، الانتماء الحضاري للغرب؟ أم الإسلام؟، المرجع السابق، ص 33

[2]– المرجع نفسه، ص36.

[3]– محمد عمارة: الانتماء الحضاري للغرب؟ أم الإسلام؟، مرجع سابق، ص 57.

6/ الزمكاني في الرواية (الزمان والمكان):

ليس بالإمكان الحديث عن الآنا والآخر والانتماء الحضـاري دون التطرق إلى أهميّة المكان والزمان وعلاقتها بالسـرد وبالشـخصـية في حَدِّ ذاتها، وبم أن الحديث عن الانتماء الحضـــاري يرتكز في مبحثنا هذا على العمل الروائي فإن المكان بالذات يكون المحور الأساسي ونقطة الالتقاء والاختلاف أيضا.

فالأماكن الجامدة والتي تحيط بنا هي حيوات متعددة بالنســبة للســارد وحياة ثانية للشـــخصـــية داخل المتن الروائي فمن خلال الســـرد نتعرف إلى أماكن لم نراها ونحس بالحركة فيها وفوقها، كما يمكننا تصـوره وبكل ما فيه من جمالية وقبح **"وهذا ينطبق على الناس وحدهم، بل ينطبق كذلك حتى على الأشـــياء والأماكن، كالأماكن التي لَمْ أذهب إليها مثلا، ولكنها وصفت لي".**[1]

فالمكان بالنسبة للسارد والمتلقي يمثل جُزءًا منا لا يمكن الاستغناء عنه وبالتالي فهو ملتصـق بالذاكرة ولابد من دراسـة لأن علاقة **" الرواية بالحقيقة التي تحيط بنا، لا يمكن ان تتحول إلى هذا الواقع و(....) ما تصـــفه لنا الرواية (إنما) يمثل جزءًا من الحقيقة، جزءًا منعزلا تمامًا رمزيا، يمكن دراسته عن كثب".**[2]

فقارئ الرواية لا يرى الأماكن التي يتم ذكرها من خلال الســـرد ولكنه يتأكد من حقيقتها لأنه يثق في النص الذي بين يديه أو المفترض أَنْ يتعامل مع الإبداع على أنه

[1]– ميشال بوبتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ط2، ص5.

[2]– المصدر نفسه، ص 8.

وثيقة تستحق الثقة فـــ **"الفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس في أننا نستطيع الوصول إلى تلك إلا من خلال النص الذي يظهرها فحسب".**[1]

فالمكان حين يعمل الســـارد على توظيفه بشَـــكْلٍ جيد لابد وأَنْ يبدو المتلقي أكثر جمالية فالـ **"مكان ملائم جدا إنه أَرحب، وصدره أكثر أمانا من صدور البشر، من الملائم أن يُودِّع المرء أحزانه".**[2]

فالمتلقي يفهم أَنَّ الراوي يتحدث عن مكان ومن خلال الوصـف يُوْقن أن هذا المكان أفضـل حتى من البشـر وهو أمر نراه في الواقع فأحيانا يسـكن الإنسـان مكانا لا يصـلح للسـكن لا لشـيء إلا لأن الذاكرة مرتبطة به فالمكان **"خاصٌّ الوجود الإنسـاني وشـرطه الرئيسي".**[3]

فالمكان لا تكمن اهميته داخل المتن فقط وإنما يُعَدُ الحجر الأســاســـي في تواجد المجتمعات ووجود البشـــر فهو الإقامة والمأوى **"فالمكان بالمعنى الميتافيزيقي – أكثر اِلتصاقا بحياة البشر".**[4]

فلا حياة دون أمكنة حتى البدو الرحل يبحثون دائما عن المكان للإقامة ورعي الماشية وعيش حياتهم على صعوبتها وافتقاد مكانهم للثبات والأمان أحيانا ومع ذلك يظل المكان مهما تعدد مشكلاته هو المصدر الذي يلقى الإنسان بين أحضانه بجسده المنهك

---

[1]– المصدر السابق، ص8.

[2]– ابراهيم الكوفي: البئر، دار التنوير للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص، 1933، ط2، ص171.

[3]– يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر: قاسم دراز، عيون المقالات، دار البيضاء، العدد 08، 1987، ص 61–62.

[4]–عبد الحميد المحادين: جدلية المكان والزمان والانسان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص20.

فالأطلال التي مضت عليها السّنون كلما توقفنا أمامها استدعت الذاكرة خيالات سكانها وتداعت الأفكار والذكريات وربما حتى الشجون التي يُولِّد الحزن.

ولكن الحديث عن المكان لا ينسينا الوجع إلى الزمن فلا مكان بلا زمن ولا زمن بلا أمكنة فكلاهما يمثلان **"العامل الأساسي في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتمالها على معنى إنساني".**[1]

فالقول بأن المكان هو الحياة لا يحاسب صاحبه الصواب فلا حياة بلا أمكنة حتى الحيوان لا يستطيع الاستغناء عن المأوى، فنحن ننجذب نحو المكان **" لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية ".**[2]

وعليه يتوجب علينا التعامل معه على أنه مكونات معرفية ووجدانية وهو أساس الهوية أو على الأقل مساهما في الاحتفاظ بهذه الهوية فالمقيم في الصحراء يختلف في طباعه وعاداته وتكوينه الفيزيولوجي عن الذين يسكنون المدن الساحلية أو المناطق السهلية.

"لذلك لا بُدَّ أن ننظر إلى المكان على أنه تكوينات أمرين أو حالات معرفية ووجدانية تكون موجودة لدى الأفراد والجماعات، وتسهم على نحو واضح في تحقيق إحساسهم بالهوية الفردية والجماعية، وفي استمرارية وجود هذا الإحساس لديهم".[3]

---

[1]– صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، تر: نهاد التكربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987، ص365.

[2]– بشلار غاستون: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط4، 1996، ص31.

[3]– عبد الحميد شاكر: الوعي بالمكان ودلالاته، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 4313، ص 250.

والمكان في الرواية لا يكون دائما على أرض الواقع ففي روايات كثيرة يأتي المكان المتخيل على أنَّهُ حقيقة لدى المتلقي.

إلا أنَّ القاسم المشترك يتمثل في علاقة الإنسان بالمكان وعلاقة المكان بالأزمنة ومن ثمة الحميمية المتولدة بين هذه العناصر الثلاثة **(الإنسان، المكان، الزمان)** وهي في الأصل مكونات الوجود البشري المجتمعي الإنساني.

الفصل الثاني:

الانتماء في المتخيل السردي وعلاقته بالآخر

1/ تقديم الرواية:

تدور أحداث الرواية **التيه** الجزء الأول من خماسية عبد الرحمان منيف التي عنوانها الرئيسي **مدن الملح** حول سكان الصحراء وبداية ظهور البترول وهي تأخذ من واد العيون النقطة المحورية التي ترتكز عليها الأحداث ففي المتن الروائي نجد الصـــراع على أوجه فمتعب الهذال المناهض الأجنبي الرافض لإطاعة أوامره يضـطر لحمل السـلاح في وجه الآنا المتمثل في الحكومة وفي وجه الآخر المتمثل في الامريكان وفي المقابل نجد الآنا التابع للآخر متمثلا في الحكومة بقيادة الأمير المستعد لرفع السيف في وجه الآنا الرافض للآخر والأمريكان الذين جاءوا بحيلة البحث عن الماء ولكن في نيتهم أشياء أخرى.

وفي هذه الرواية يتحلى الصـراع الحضـاري ولأن الرواية صـارت مسـرحًا ينظر إليه المتلقي بجدية فقد وجد الروائي وخاصة مُنيف فرصة للإستعانة بهذا الحقل الإبداعي لنقل الأفكار الواقع إلى عالم التّخَيُّلي السَّرديّ.

وقد عرفت السَّاحة العربيّة قبل منيف عدة محاولات لمقاومة الآخر أَوْ مُساندته.

ففي هذا الجزء **(التيـة)** قدم لنا منيف المجتمع الصـــحراوي بعاداته وتقاليده وكرمه وشـــهامته واهتماماته قبل ظهور البترول وبناء العمارات مما وَلَّدَ صـــراعا مع الآخر من طرف فئة رافضـــة للآخر كلا غير مُجَزَّءًا وفي هذه الرواية ثلاثة أنماط للعلاقة مع الآخر فالأول يمثلها **ابن الراشـد** وهي سـيطرة الآخر واسـتغلاله للحكومة ومن يواليها أما العلاقة الثانية فهي علاقة الرفض والتي تمثلها **(عائلة مُتْعَب الهذال)** خاصـة مُتعب الذي وصـل به الرفض إلى حمل السـلاح في الآخر من خلال مهاجمة الممتلكات غير أن ثمة علاقة

أخرى قائمة على توافق الطرفين ولو جزئيا وقد عالج منيف هذه العلاقة القائمة على الرفض والاختلاف والتوافق وهي متناقضات موجودة داخل أَيٌّ مجتمع.

تبدأ الرواية تصـــاعديا فالمجتمع الهادئ يعيش حياته العادية وفجأة يأتي الأمريكان بالعدة والعتاد ومن هنا يبدأ التطور المجتمعي والعمراني والاقتصـــادي ومع ذلك يظل ثمة الرافض لهذه الحياة لأنه يرى فيها السيطرة والتملك والتسلط والحق أن العنوان في حد ذاته يحمل دلالة واضـــحة على أَنَّ الرّواية تحكي عن نية المجتمع العربي وضـــياعه أمام قوة الآخر وســـيطرته فالنية هو الضـــياع والتيهان وفقدان الســـيطرة، وهذا ما نجده داخل هذا المتن الرائع لعبد الرحمان منيف.

2/ المكان في السرد الروائي:

يُعَدُّ واد العيون أهم عنصـــر في رواية (النية) لعبد الرحمان منيف إذ تدور حوله الأحداث فهو منطقة مُتغيِّرة على ثابتة على حالة معينة.

يختلف واد العيون المكان المتخيل عن باقي الرقعة الصحراوية ففجأة نبت هذه البقعة بين صـحراء قاحلة " **إنه واد العيون فجأة، وسـط الصـحراء القاسـية العنيدة، ننبثق هذه البقعة الخضـراء، وكأنها انفجرت من باطن الأرض أو سـقطت من السـماء، فهي تختلف عن كل ما حَوْلها، أو بالأحرى ليس بينها وبين ماحلوها أَيَّةُ صـلة، حتى ليحار الإنسـان وينبهر، فيندفع إلى التساؤل ثم العجب**".[1]

[1]– عبد الرحمان ميف: مدن الملح" النية"، المؤسـسـة العربية للدراسـات والنشـر المركز الثقافي العربي للنشـر والتوزيع، ط10، 2003، ص9.

فهذه البقعة كما يسميها الراوي تُعَدُّه أُعجوبة بالنسبة لسكان الصحراء ففيها الخضرة والماء، غير أَنَّ أمر وادي العيون قد لا يلفت إليه أنظار واهتمام أهله وساكنيه ولكن بالنسبة للقوافل وعابري السبيل لأمر يختلف فالقوافل إذا جاءت **"وقد حللها أكوام الغبار وهدها التعب والعطش، وأخذت تجد في السير، خاصة في المرحلة الأخيرة، لتصل إلى وادي العيون بأسرع وقت. فكانت القافلة كلها تمتلئ نشوة أقرب إلى الرعونة، لكنها لا تلبث أَنْ تسيطر على اندفاعها حين ترى الماء، ... فإذا استقرت القافلة، وفكت أحمالها، وارتوى الرجال والدواب، فإن نوعا من الحذر اللذيذ، لا يلبث أَنْ يتحول إلى رضى عارم".**[1]

ولكن واد العيون بالنسبة **" لمتعب الهذال"** أكبر من بقعة خضراء)[2] حباها الله بالماء أَنَّه أيقونة ظاهرة خارقة ولأنه متشبثًا به منتميا إليه يرى في قرارة نفسه أن الواد بإمكانه أَنْ يلامس الخرافة فثمة أشياء يعجز اللسان عن وصفها فـــــ **" لو ترك لمتعب الهذال أن يتحدث عن وادي العيون لقال كلامًا لا يصدقه أحد، لأنه لا يقتصر على طيب الهواء وعذوبة الماء الذي لا يتوقف يومًا واحدًا في السنة، ولا عن روعة الليل، إنه يُصِيفُ أشياءً أخرى كثيرة خارقة، ويروي قصصا يعود بعضها إلى أيام نوح...".**[3]

فالعلاقة بين **"الهذال"** ووادي العيون هي في الأساس **"عشق من نوع لا يتكرر كثيرا".**

---

[1]– المرجع السابق، ص9.

[2]–المرجع نفسه، ص 11.

[3]–المرجع نفسه، ص11.

والواد تتضح معالمه فهو ليس رقعة مهملة وليس بالمكان الهين إذ يتربع على مسافة طويلة تمتد إلى " **ثلاثة أَميال أو تزيد قليلا، وهذا الامتداد العريض في البداية، لا يلبث أن يضيق شيئا فشيئا حتى يصبح في نهاية مجرد شريط رفيع تتناثر فيه أشجار قليلة من النخيل، وهذه الاشجار تعيش على ما يتسرب إليها من نهاريا الماء**".[1]

والواد تحده الهضاب وهي في الغالب متحركة ومع ذلك تظل أكثر صلابة من غيرها رغم هبوب الرياح وبالتالي فإنها تبدو للرائي أكثر شـــساعة وثمة مناطق تحيط بها أطلق عليها سكان الواد أسماء لتميزها " **فمن جهة الشرق تقوم الظهرة، أما من جهة الشمال فالوطغة وأم الأثل، ومن ناحيتي الغرب والجنوب تقوم هضـــاب أقل قيمة وتعني الكثير بالنسبة للوادي أَوْ للمسافرين**".[2]

بالقرب من واد العيون يوجد البحر " **مســيرة ســبع أيام**"[3] وميزة أهل وادي العيون أن تصرفاتهم تختلف فأيام العز والخير يقوم أهل الواد باستضافة القوافل والتَّودُّد إلى أهلها والتَّفضُّـل في الكرم الزائد ولكن يختلف الوضـع حين يكون الجفاف فهم يتركون لأصـحاب القوافل حرية التصـرف "**إذ يبدون أكثر حزنا، وأقرب إلى الانطواء، ويتركون المســافرين يتصرفون بالطريقة التي تروق لهم، دون إلحاح منهم ودون إزعاج أيضا**".[4]

ومع ذلك فسـكان هذه البقعة خاصــة في سـن معينة ألحت عليهم فكرة السـفر إلى مناطق أخرى يعودون منها بالمال لإعالة الأهل والبلدة في الوقت ذاته " **وقلما يوجد واحد**

[1]– المرجع السابق، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص11.

[3]– المرجع نفسه، ص12.

[4]– المرجع نفسه، ص 12.

من المسنين لم يسافر إلى مكان من الأمكنة، صحيح أَنَّ هذه الرغبات والسفرات تتفاوت من حيث المدة والنتائج".[1]

وفي أحاديث كثيرة يسافر أبناء الواد ويعودون بخيبة أمل إلا أَنَّ فكرة السفر تظل تُلِحُ دائما، إلا أَنَّ الانتماء إلى هذا المكان يظل يُلِحُّ على المسافر ليعود بعدها ويستقر في أرض الأجداد.

والحق أن سكان الواد يُمثلون أبناء الوطن الإنسان الذي ينتمي لمنطقة بعينها ومع اختلاف التصرفات وتتفاوت الناس إلا أَنَّ الانتماء يظل معنويا وماديا وروحيا وجسديا فهم لهم صفات " **جسدية شديدة الظهور، فهم أَمْيَلَ إلى الطول، من اتساق في العظام، اما الأطراف فمستقيمة نَاحِلةٌ وكذلك الخصور والأكتاف، حتى ليظن من ينظر إليهم وكأنهم مجموعة مِنَ الخيول التي طال ترويضها وانعابها، فظهرت أكثر مما ينبغي".**[2]

ومن خلال السرد نعرف بأَنَّ " الهذال" جاءت عائلته من الصحراء البعيدة وانغرست في واد العيون والتي عُرفت بمقاومة الاتراك فجازي الهذال قاوم الاتراك حتى قبل أن يصيروا أعداءً " **واستمر كذلك إلى أن تركوا أَمَّا محاولات القيادة التركية ملاحقته والقبض عليه فقد انتهت بأن قتل قواد الحملتين اللتين يسرتا عليه، وحول الافراد إلى جزء من جماعته يغزوا بهم ويقطع الطريق، وقيل إنهم ظلوا معه إلى النهاية".**[3]

---

[1]– المرجع السابق، ص 12.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– المرجع نفسه، ص19.

ومع ذلك فانتماء" **متعب الهذال"** يكاد يكون انتماء لا يوصـــف ففي واد العيون وَلَد (متعب الهذال) إلا أَنَّ تاريخ ميلاده يكاد يكون مجهولا " **فخالته وسـمة، تؤكد أَنَّه ولد في سنة الجراد، كانت تلك السنة سوداء قاسية، ولما وُلِدَ مُتْعب الهذال، انتهت أيام الجوع وأقبلت أَيَّامُ الخير".**[1]

ففي واد العيون نلتمس الانتماء الحقيقي رغم قســاوة الطبيعة أَحيانا بالإضـــافة إلى قانون الحكومة الذي يقضـي بأن يتم تسـجيل الأطفال لالتحاقهم بالجندية حين يبلغون سـناً معينة وهي من بين الأسباب التي جعلت التواريخ غير مضبوطة.

3/ الآنا مقابل الآخر:

لا يبدو الأنا في رواية عبد الرحمن منيف الجزء الأول ((**التيـة**)) متحدا فالإمكان القول أَنَّ هناك **الأنا** المتمثل في **متعب الهذال** والآنا المقابل المتمثل في ((**ابن الراشـــد**)) فمتعب رجل ثائر نظرا لتاريخ عائلته في مقاومة الغرباء أما **(ابن الراشـــد)** فهو قريب من الحكومة اســـتعدادًا للدفاع عن قرارات الحكومة بل والتمادي في الدفاع والتبرير، فعندما يأتي الآخر فحين تُقَرِّرُ الحكومة القيام بعمل ما بالتعاون مع الأجانب لا تجد أمامها إلا **إبن الراشـد** الذي يقوم بدوره بضـيافتهم والانحداق عليهم وسـرعان ما يلتقط الآنا المغاير وهو **فواز ابن متعب** حديثا أجنبيا ويعرف أنهم **الفرنجة** أي الأجانب فيســارع لإخبار والده لذي يصـغي اليه لا مباليا وما يؤكد له أَن أجانب عند إبن الراشد حتى يتوقف عن الحركة ويبدأ الحوار بل يصل به الأمر لِاستقصاء الحقيقة بنفسه.

[1] – المرجع السابق، ص26.

"قال بصوت حاد وعصبي:

من الفرنج ويتكلمون العربي"

ولما قال هذه الكلمات رفع أبوه عينين متسائلتين، وانتظر أن يسمع شيئا جديدا... ثلاثة أجانب، ومعهم اثنان من عرب الزور، ويتكلمون العربية، وتغيرت لهجة فواز ليخلق تأثيرا قويا:

يتكلمون بطريقة مختلفة عن طريقتنا، بطريقة مضحكة...

الناس حول المُضِيْف قالوا أنهم نصارى".[1]

ويُعَدُّ هذا الحوار بين الأب وابنه حول الآخر القادم من بلاد الفرنج يقرر الوالد ركوب حصانه والمُضي قُدما إلى دار إبن الراشد مع إبنه فواز ليعرف الحقيقة، ولمعرفة الحقيقة يقبل **" متعب"** المبيت عند ابن الراشد بعد أنْ يقضي النهار يراقب الأجانب متوجسًا فهو غير مصدق أن هؤلاء جاءوا للبحث عن الماء فواد العيون فيه ما يكفي من الماء وأهله راضون بمعيشتهم.

فالآخر هو الذي جاء من بلاد بعيدة ويتكلم لغة مختلفة ولكنه يعرف العربية أيضا أي أَنَّه متفوق على **الآنا** يعرف لغته ولغة **الآنا**.

ولأن الآنا مُتَوجِّس دائما من الآخر خاصة الآنا المقاوم فإن **"متعب الهذال"** لَمْ يطمئن للآخر الموجود عند ابن الراشد وحيلة البحث عن الماء لم يستوعبها، فقد عاد على غير العادة فخلال عودته إلى الظهرة المحاذية لواد العيون **" اختار متعب الهذال طريقا**

[1]– المرجع السابق، ص33.

طويلا، طريقا لا يسلكه إلا نادرا، وبدا رجلا جديدا لكل من رآه ولكل من عرفه، كان شديد الحيرة والحزن، تكلم بطريقة مختلفة عن أية مرة سابقة، بنبرة الصوت، ينبوع الأحاديث، بالأسئلة الكثيرة التي يطرحها على ابنه".[1]

فالعلاقة بين الآنا والآخر تخللتها الحيرة والشك في نوايا الآخر القادم من بلاد الفرنج والمتحدث بالعربية والأجنبية في الحالات الرسمية، ومن ثمة فقد طرح عديد الأسئلة التي كان يريد من إبنه أنْ يجيب عنها لكن الإبن ظل صامتا لأنه تعود السكوت في حظرة الكبار فمتعب يرى: **"أنهم يرودون شيئا آخر ولكن ما عساهم يريدون؟ وأَيَّةُ أشياء في هذه الفلاة غير الجوع والرمل والعجاج؟ ويقولون انهم سيقضون هنا وقتا طويلا "**[2] أسئلة كثيرة تهبط على رأس متعب الهذال مما يُصِيبُه بالإعياء الشديد.

والحق يقال أَنَّ تصرفات الآخر هي التي دفعت **"الآنا"** إلى التوجُّس إذ أَنَّ الأجنبي يصلي ولكن صلاته تختلف عن صلاتنا وهم أيضا يحفظون القرآن مما دفع **"متعب"** لتسميتهم بالشياطين **" أُنظُرْ إلى أعينهم، إلى أقوالهم وتصرفاتهم، إنَّهم شياطين، ولا يمكن لأحد أنْ يَثِقَ بهم، أَنَّهم ألعن من اليهود... ويحفظون القرآن أولاد الحرام... عجايب".**[3]

فالآخر على استعداد لفعل أي شيء من أجل الوصول إلى مآربه ومتعب الذي حاربت عائلته الأتراك لديه حساسية تجاه الأجنبي ويعرف أن هؤلاء لا يمنحون دون

[1]– المرجع السابق، ص 35.

[2]– المرجع نفسه، ص35.

[3]– المرجع نفسه، ص36.

مقابل، وكان لا بُدَ **للـهذال** أن يستعمل الحيلة فبعث بابنه فواز لرعي الماشية والمرور بدار ابن الراشـد للعودة بالأخبار الجديدة **"كان يحس أن شـيئا خطير يوشـك أن يقع، لم يكن يدري ما هو أو متى، ولم تتعده التوضـــيحات التي قدمها الكثيرون، إذ بمجرد أَنْ رأى هؤلاء لحركتهم اليوميـة الدائمـة، حركتهم اليوميـة الدائمـة، بـالأدوات التي يحملونهـا، ثم وهم ينقلون أكياس الرمل والحجارة ويكدسونها بعد أن يكتبوا في دفاترهم، ويضعوا عليها علامات، ثم تلك المناقشات التي تمتد من الغروب إلى ما بعد الشتاء بقليل، وما يعقبها من الكتابة".**[1]

وأكثر ما يؤكد الريبة تجاه الآخر هو اهتمامهم بكل صغيرة وكبيرة وسؤالاتهم المتعددة والدقيقة فهم يســـألون عن **" القبائل ولهجاتها ونزعاتها، ثم عن الدين والمذاهب، وعن الطرق والرياح ومواعيد المطر، هذه الأشياء كلها ولدت لديه مخاوف تزيد يوما بعد يوم ان هؤلاء يريدون شرا بالوادي والناس".**[2]

والمتلقي لهذا المتن الروائي لعبد الرحمان منيف يلمس اختلافا بين القناعات فالآنا نفســه مختلفا **فمتعب الهذال يختلف عن ابن الراشـد الهذال** يمثل الآنا بمعنى الكلمة وهو رافض للآخر على اســتعداد لأن يقدم أولاده طعامًا لهم من باب الكرم وحســن الضــيافة ولكن لا يقبل أن يكون تابعًا يهز رأسه موافقا **"فإبن الراشد الذي بدا مختلفا منذ أن وصل هؤلاء الأجانب، وبالغ بالكرم والعناية، وإظهار هذا الكرم وهذه العناية، وكأنه كان على علم سابق بوصولهم، ... هذا السلوك من ابن الراشد لسد ما أثار (متعب الهذال) وأدخل**

[1]– المرجع السابق، ص 38.

[2]– المرجع نفسه، ص 38.

الغضب إلى قلبه، صحيح أنه يحب الكرم، ويعرف كيف يكون كريمًا، فيقدم للضيوف أحسن ما عنده، حتى ترك أهله جياعا، لكن لا يعرف لماذا بدأ الراشد خائفا مستسلمًا أكثر مما ينبغي أمام هؤلاء".[1]

وقد امتاز الهذال بالصراحة والشجاعة أيضا فهو يمثل الأنا الأصيل المنتمي لرقعة عربية يعتز بإنتمائه إليها ومن ثمة فقد صارح ابن الراشد قائلا:" **اسمع يا إبن الراشد: يأكل التُّراب، ونقدم للضيوف أولادنا، لكن لا نرضى أن نهز رؤوسنا مثل العبيد لكل كلمة يقولونها... تكلم معهم مثل الرجال تعامل معهم مثل الرجال، يا ابن الراشد".**[2]

لكن إبن الراشد المقبل على الآخر الطامع في مزايا والعالم، بخفايا الجماعة وعليه فقد تحجج بأن كرمه تجاه ضيوفه سببه إرضاء هؤلاء ليقولوا أَنَّ العرب أهل الكرم والشهامة **" ابن الراشد يا أبوتُوني الجماعة ها هم مثل جماعتنا، لازم يكون معهم كرماء حتى يقولوا إنَّنَا عرب".**[3]

4/ الأنا والرفض والانتماء:

يتجلى رفض الآخر من طرف الأنا من خلال الحوار الذي جرى بين الهزال كممثل لسكان واد العيون والأمير الطامح إلى إقامة مشاريع بالتعاون مع الأجنبي، مما يدفع بالأخير إلى التهديد بالسيف لكل من تسوّل له نفسه الوقوف في وجه هذا الحلم.

---

[1]– المرجع السابق، ص39.

[2]– المرجع نفسه، ص 39.

[3]– المرجع نفسه، ص 39.

"بعد ما مَنَّ الله علينا بالنعمة لازم نشـــكره، لا أن نخلق المشـــاكل ونقول: فلاني وبركاني".[1]

الأمير بداية نعمة يعمد إلى إقناع الأنا المماثل له والأقل منه مرتبة من ليس بفوقية وإنما بما يشبه العتاب، ولكن هذه اللهجة سرعان ما تتغير حين تصطدم بالرفض.

"والله يا طويل العمر، قبل ما تحب هذه العفاريت كانت حالنا على أحســـن حال، لكن هذه العفاريت حلوة بالديرة من يقوم ما حلوا بهذه الديرة أشـــوف الدنيا مثل بول البعير: كل يوم إلى الوراء".[2]

والرفض جليا فالهذال لا يريد التغيير، إنه متمســـك بالتراث والعادات، الأرض كما كانت زمن الأجداد، وبالتالي يعلن رفضـه علانية في وجه ولي الأمر، وإن لم يكن رفضـه واضـحا، إلا أن الأمير بذكائه وفطنته يلتقط الإشـارة ومن ثمة يبعث برسـالته الجليّة دون أية مواربة.

"اسمع ابن هذال، وهذا الكلام لك ولغيرك، والحاضر يبلغ الغايب: أي طرحه يخلق مشاكل ماله عندنا إلا دواء واحد: هذا وأشار إلى سيف كان معلقا على الجدار، وأشار بسبابته وهذا تهديد في نفس الوقت"[3]

ولا يكتفي "الهذال" بالرفض وحده ولكنه يذهب إلى التبرير والتعليل لإقناع الأمير بوجهة نظره.

---

[1]– المرجع السابق، ص 92.

[2]– المرجع نفسه، ص 92.

[3]– المرجع نفسه، ص 92.

"أنتم الحكومة، عندكم العسكر والسلاح، واللي تريدونه يصير ويجوز، بعد ما يطلّع لكم النصارى الذهب من تحت القاع، تصيرون أقوى، لكن اعلم يا طويل العمر، أن الأمريكان ما يعملون شيء لله".[1]

إذا فسبب الرفض والامتناع يمكن في اعتقاد "الأنا" بسوء نية الآخر وبالتالي فمهما حاول الأمير أو حتى الآخر بإظهار وجهه الطيب فإن الأنا المنتمي إلى حضارة بعينها لا يطمئن إلى هذا القادم من بلاد الفرنج.

في المقابل فإن "الأنا" المنبهر بالآخر والمقتنع بأطروحاته يرى بأنه من اللازم الاستعانة به من أجل مستقبل أفضل، ومن هذه النقطة يحاول الأمير مع من يساندونه تبرير وتعليل هذا الاقدام وللترحيب بالأمريكان غير أن الجماعة الرافضة "الهذال" يظل يدافع عن أهل الواد وينافح عنهم خوفا على الأعراض والشرف المصون.

وحين يستسلم ابن الراشد والذي كان منذ البداية تابعا للحكومة راضيا بقراراتها، يهاجمه "متعب الهذال".

"اسمع يا ابن الراشد، ما يهمنا الماء وغير الماء، وأنت تعرف: أنا بالظهرة، وحريمي ما ينزلن للعين... الناس في الواد ما يهمها الماء وغير الماء، يهمها العرض، الناموس، وما نريد أحد فوقنا، وما نريد الكفار الخنازير صبح وعشية، واليوم بهذا الشكل، بعد كم يوم ما نعرف ايش بيصير".[2]

---

[1]– المرجع السابق، ص 92.

[2]– المرجع نفسه، ص 92.

ولأن السلطة السياسية تعمل في جميع حالات الرفض على امتصاص الغضب بالمهادنة والحزم فقد صرح الأمير قائلا **"يا جماعة الخير، الحكومة أعلم وأقدر منكم، ومثل ما قلت لكم: والأخلاق والدين أحرص منكم على الأخلاق والدين ... والماء أبشروا"**[1]

ومع ذلك يظل الرفض مستثمرا من طرف "الأنا" المنتمي حضاريا والرافض للتنازل عن قيمه مقابل قسم الآخر المالك للقوة.

قال متعب الهذال: **"القضية يا طويل العمر، من أولها إلى تاليها، إننا ما بقدر نعيش معهم، لو كانت القضية يوم أم اثنين تهون، لكن أن تعيش جميع ما تحتمل، وإذا كما حتى لليوم ما حملنا سلاح في وجوه بعض، لا أحد يدري باكر ويش يحصل".**[2]

والأنا في هذا المتن مصر على رفضه مقدما وجهات نظر عديدة محذرا مهما يمكن أن يكون فتنة بين أفراد المجتمع، إلا أن جميع تبريراته تتم برغبة الحكومة في رفض الأمير للأمر الواقع.

"تركناك تقول كل اللي ببطنك يا ابن هذال، علنا نسمع رأي الرجال، قال ابن الراشد، وكأنه يستعيد درسا حفظه من قبل: هنا مع الحكومة".[3]

---

[1]– المرجع السابق، ص 94.

[2]– المرجع نفسه، ص 94.

[3]– المرجع نفسه، ص 95.

بهذا الرد القاطع ينتهي الحوار وتغلق المناقشـــة مع احتفاظ كل طرف بوجهة نظره، إذ يصـرح الأمير حينها راضـيا تماما الليلة عشـاكم عندنا الهذال محتفظا بقناعته لا يجيد قدر أنملة.

5/ الآخر في نظر الأنا:

صورة الآخر بالنسبة للأنا تختلف حسب درجة الانتماء ومن ثمة الغيرة على الشرف فكلما كـان الانتمـاء لصـــيقا برقعـة معينـة زادت الحميميـة الانتمـائيـة، وتجلى الانتمـاء الحضاري بكل مقوماته المتمثلة في الرفض، المقاومة، الغيرة، التضحية ...

فالآخر في نظر المنتمي الحضاري هو الشيطان في طباعه وتصرفاته وحيله أيضا.

"كـان خروجهم خروج الشـــياطين، ففي لمح البصـــر توجهوا إلى الآلات بتلـك العصبية وذلك الاندفاع إنذارا أخيرا أن كل شيء قد انتهى".[1]

أدرك متعب الهذال من خلال تصـرفات الآخر أن الحياة سـائرة إلى أمر غير مألوف فقد عمد الآخر لتحقيق رغبته في الحصـــول على الثروات الباطنية إلى القضـــاء على المساحات الخضراء فهو لا يهمه ما فوق الأرض ولكن ما تحتها.

"كانت الأشـجار وهي تميل وتترنح، قبل أن تسـقط، تصـرخ، تسـتغيث ... وكأنها تحتج أو تريد أن تلتحم بالتراب من جديد، في محاولة لأن تنبثق لأن تتفجر مرة أخرى. هكذا بدأت مجزرة وادي العيون".[2]

---

[1]– المرجع السابق، ص 110.

[2]– المرجع نفسه، ص 111.

فالرجال لأول مرة في حياتهم يرون الهذال باكيا لكن في صـــمت **"كانت دموعه تساقط بغزارة، لكن بصمت أيضا، كان صامتا تماما، لم يفه بكلمة واحدة، لم يبتسم، لم تخرج من حنجرته أية آه أو نأمة، فقط كانت دموعه تنهمر، ولم يكن جحولا أو خائفا، ولم يكن فخورا أيضا".**[1]

ولأن الآخر صـــار أمرا واقعا بأمر الحكومة فإن "الهذال" حين وجد نفســه عاجزا لم يستسلم ترك واد العيون دون أن يودع أو يحس به أي واحد من الحضور ومع عودة الحياة تدريجيا تفقده الناس واختلفوا ثمة من رأى أنه رحل وآخرون كذّبوا فكرة رحيله، في النهاية تأكدوا أنه ترك الواد راحلا فوق ناقته، ومع أكد أن "الظهرة" التي يقيم على أرضها "متعب الهذال" صارت الآن عارية مكشوفة بعد قلع الأشجار مما جعل الرؤية واضحة من الواد ترى جميع الرقع المحيطة به لأنها في الأصل جزءا منه.

"قال الكثيرون متعب الهذال مثل عادته دائما، إذا جاءته "السـواد" يغيب يوما أو يومين ثم يعود، ولذلك فإذا شـرق أو غرب لا بد أن يرجع. كان أهل الوادي جميعا على يقين راســـخ أن متعب لا يتخلى عن الوادي، وأنه ليس مثل الآخرين يمكن أن يحمل أمتعته ويمشي".[2]

ولكن "الأنا" ترك المكان للآخر مرغما، هذا الشـــيطان المارد الذي جاء على حين غفلة واحتل الأرض بموافقة أهل الدار، الحكومة وممثلها، والأمير وابن الراشـــد إذ أن هذا الأخير ونزولا عند رغبة أولي الأمر قبل الانصـــياع للأوامر دون اعتراض **"يا جماعة**

[1]– المرجع السابق، ص 111.

[2]– المرجع نفسه، ص 114.

الخير ... ارحلوا برضاكم مثل ما رحل لجماعة قبلكم، أحسن ما ترحلكم العصا كل واحد أخذ حقه المقسوم، والأمير يقول اللي يريد ديرته وعشيرته فألف سلامة، اللي يريد مكان الحكومة حضرت المكان".[1]

ومن هذه اللحظة يتغير المكان والانتماء أيضا يرحل "الأنا" ولو مؤقت تاركا مكانه للآخر ليكون المنقذ للسكان من الفقر، مقابل أن يمحو كل ما يمت بصلة للانتماء، فالخيام تحل مكانها العمارات والأشجار تقتلع ليبدأ الحفر والبحث عما تحت الأرض لأن باطنه خير من ظاهرها كما يرى ذلك اللامنتمي.

ويظل الآخر رغم الخدمات التي يسعى لتقديمها في نظر "الأنا" شيطان دائما **"وهؤلاء الأمريكان الشياطين الذي جاؤوا من أجل الماء، لماذا يحضرون الأرض دون هوادة ... ومياه الآبار الكثيرة التي حفرت لماذا تصب في ثقب داخل الأرض، ولا تعطى للناس...".**[2]

تصرفات الآخر هي التي تجعل من الأنا متوجسا فهو على تعيين أن الآخر لا يريد الماء إنه يرغب في غيرها ما يعلن، ولأن الأنا يبدو ساجذا فإنه يفكر بأن هناك حياة تحت الأرض وأن الجبن ربما أصيب بالعطش ولذلك جعل الآخر الماء يصب في جوف الأرض.

[1]– المرجع السابق، ص 115.

[2]– المرجع نفسه، ص 141.

"وهل توجد حياة ثانية تحت الأرض، وفيها بساتين وأشجار وبشر كلهم يصاحبون الماء ويطلبونه؟".[1]

وهذه الأسئلة وغيرها دارت في خلد الشبان وشغلت تفكيرهم في هذه الأثناء يعود الأنا متخفيا يظهر حينا ويختفي، وهذا ما لاحظه في الليل شـــعلان ابن متعب الهذال، فالهذال عاد للظهور مرة أخرى، ولكن في كل مكان قرب أماكن الحراسة وبراميل النفط وغيرها من الأماكن الحســاســة **"تعمد شــعلان بعد أن رآه مرة قريبا من البوابة، أن يذهب في نفس الوقت إلى نفس المكان، لكن لم يأت، بعد عدة أيام رآه قرب براميل المياه ... رآه في أماكن أخرى قرب نقطة الحراســة الخلفية... ".**[2] هذا الأنا العائد متخفيا يصــير فيما بعد مصدر إزعاجا للأخر ومهددا لمصالحه.

يبدو الآخر في نظر الأنا مصدرا للفخر والإعجاب وحضوره يعني الكثير فقد وصل الأمر باعتبار الآخر موازيا للفرح بالزواجٍ **"كان فرح الدباســي بحضــور الأمريكيين يوازي فرحه بالزواج، فقد بالغ بالاحتفاء بهم وتكريمهم، وكان شـــديد الحرص على أن يبقى ابنه صالح إلى جانبهم طوال الوقت".**[3]

فالآخر بالنســـبة للأنا هو الشـــيطان عند فئة من الناس أو بالأخرى الذين ينتمون لحضــارة مترســخة في أعماقهم بينما بالنســبة للامنتمي هو مصــدر انبهار وإعجاب مما يدفعه للاحتفاء بقدومه.

---

[1]– المرجع السابق، ص 141.

[2]– المرجع نفسه، ص 142.

[3]– المرجع نفسه، ص 256.

ومع ذلك يظل الآخر مصـــدر قلق متواصـــل فالأنا حتر بعد أن عرف الآخر يظل يتساءل ماذا يحل به حين يأتي الأمريكان.

"هل ستتغير حياة حران إذا جاءها الأمريكان وأعداد كبيرة من الغرباء، إضافة إلى ابن الراشد والدباسي".[1]

تســـاؤلات مشـــروعة تمثل هواجس الأنا تجاه الآخر، وهو ما ينكشـــف فيما بعد إذ تتحول حران العرب إلى حران الأمريكان بمباركة من الأمير **" أثناء زيارة الأمريكان، والتي تمت في طقوس من الأبهة والاهتمام جرت مســـابقة للرماية بين ثلاثة من الأمريكيين بحضوره".**[2]

والآخر حين احتل المكان لم يســـمح للأنا بدخول أماكن معينة منها ينادي الأمريكي ومع ذلك أبقى للأمير الحاكم للرفقة (حران) ما يتميز به عن الآخرين ففي جو من الفرح فقد اقتصرت الدعوة على: "الأمير ومرافقيه ومعهم ابن الراشد ودحام وصالح الدباسي، أما الآخرون فقد هيأت لهم علب وضفت فيها أنواع الأطعمة".[3]

والأنا دائما يكتشـــف الجديد من الآخر الذي بدا في هذا المتن أكثر تطورا وبإمكانه الاكتشاف وركوب البحر.

---

[1]– المرجع السابق، ص 265.

[2]– المرجع نفسه، ص 269.

[3]– المرجع نفسه، ص 270.

6/ الأنا في نظر الآخر:

يبدو الأنا في رواية عبد الرحمان منيف الجزء الأول **"النية"** منبهرًا بإنجازات الآخر فرحا بالبناءات التي بدأ العمال تشيدها على الرقعة الصحراوية وبدلا من الخيام حلّ البناء شامخا واثقا مقاوما للريح والأمطار ويظهر هذا الإنسلاب والانبهار من خلال تصرف الأمير رأس السلطة وممثل الدولة **" كان الأمير فرحا مثل طفل، وقد أثنى على العمال بكلمات كبيرة، وقل لهم إنه لولا جهودهم وإخلاصهم لتأخر البناء، أو لما أصبح بهذا الشكل القوي".** [1]

والمعروف أن البناء جاء بأمر أمريكي الذي مثلته الشركة الأجنبية والأنا عاجز أمام الآخر غير قادر على طلب الحقوق التي تدخل في إطار العمل فالأمير مثلا حين عرض عليه ابن الراشد أن يطلب من الامريكيين إضافة بعض الاكماليات كان رده حذرا **:" إذا رأى الأمير أن بحث الأمريكيين فلابد ان تتبع نفس الطريقة التي اتبعوها في بناء المساكن الخاصة بهم، حيث كانت الابواب والشبابيك وأشياء أخرى كثيرة جاهزة... ابدى الأمير اهتمتم كبيرا بذلك... وأشار إلى انه يخجل أن يطلب ذلك بنفسه".**[2]

والأمير لم يمتنع لأن عزة نفسه تأبى عليه ذلك ولكن لأنه يحس بالدونية تجاه الآخر **"قال ابن الراشد وقد أدرك نقطة الضعف: أنا لا أقبل أن تطلب منهم يا أبو مسفر...".**[3]

[1]– المرجع السابق، ص343، 344.

[2]– المرجع نفسه، ص 347.

[3]– المرجع نفسه، ص 347.

فالأمير بالنسبة للآخر أقل من أن يفرض عليه طلبا ولو يعلق بالإنجاز ففي فالأمريكان شيدوا بناياتهم بشكل يليق بالقوي الواثق من نفسه ومن امكاناته.

والأنا من خلال ردود أفعاله تبدو عليه السذاجة فمثلا حين يدخل الراديو إلى "حران" يتلقاها الناس كبيلة والارتباك **"هذه البلية من سّواها؟"**

"حس رضائي ببعض الارتباك نتيجة النظرات المعادية التي لم يكف ابن نفاع عن توجيهها إليه طوال السهرة، رد بسرعة: الإنسان اخترعها".[1] ولأن الأنا متوجسا دائما فقد تساءل أحدهم **" قل لي... قل لي: الألمان أو الأمريكان؟**

-هذا الراديو صنع هولندي

هولاندي؟

-نعم ...هذا مصنوع في هولندا".[2]

ولأن الأنا أكثر سذاجة فقذ نظر تعامل مع صناعة الآخر على أنها لا تقل عداوة الفرنجي في حد ذاته **"وتوقف قليلا ثم أضاف بسخرية:**

مثل إبليس له عين واحدة، عين خضراء، وهذه هي التي نهى عنها الرسول وسماها خضراء الدم.

وأضاف بلهجة تهديد: أباكر يجرهم إلى جهنم ".[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 422.

[2]- المرجع نفسه، ص 433.

[3]- المرجع نفسه، ص433.

فالأنا مقاربة بإمكانات الآخر وتطوره الفكري يبدو أقل تحضرا وبالتالي كل جديد لديه يدعو من وجهة نظره للريبة والشـــك وأكثر ما يدل على ســـذاجة الأنا مقابل الآخر خوفه وتردد هي اللحظـة التي يعرض فيهـا الامريكـان على الأمير ركوب البحر **"عرض على الأمير أن يقوم بجولـة بحريـة فقد أبدى ترددًا ظـاهرًا، قـال إنـه لم يركب البحر من قبل، وإنه يخاف الماء كثيرا، ولا يعرف السـباحة، وحين أكد له الامريكيون أن الأمر في غاية البساطة والأمن... وافق شرط أن تكون الجولة قصيرة، وأن لا تبتعد عن الشاطئ".**[1]

وفي عرض البحر يظهر خوف الأمير بمعنى خوف الأنـا وبـالتـالي يعلن رغبتـه في العودة وعدم الخوض في أعماق البحر.

"قل لجمـاعتـك... هذا الكثير يكفينـا والاخير أن نرجع، لمـا بلـغ الأمريكيين بطلـب الأمير أبدوا استغرابهم، وظنوا ان في الأمر خطأ من نوع ما".[2]

فالأمير هنا يبدو عليه الخوف وليس للموضـــوع علاقة بالثقة وإنما ردة فعله نتيجة لخوفه من الخوض في أعماق البحر.

الأنا ايضا متوجس من الآخر فالعلاقة إذا قائمة على الحذر وطرح الاسئلة.

"هل ستتغير حياة حران إذا جاءها الامريكان أعداد كبيرة من الغرباء".[3]

والأنا في نظر الآخر يمتاز بالغموض فتصـــرفات الأنا غير مألوفة عند الآخر فقد علق أحدهم **" ما أعجب هؤلاء الناس، ولشد ما يبدون غامضين، لا يعرف الإنسان هل**

---

[1]– المرجع السابق، ص 270.

[2]– المرجع نفسه، ص 271.

[3]– المرجع نفسه، ص 265.

هم فرحون أم حزانى، كل شـــيء فيهم مغلق، طبقات فوق طبقات، تماما مثل الصـــحراء التي يعيشون فوقها!".[1]

فالأنا بالنســبة للآخر وبالإضــافة لم تقدم من صــفات منحطة وأقل قدر فإن الآخر ينظر للأنا على أنه حيوان بدائي وهذا ما نفهمه من قولهم " **إنهم مثل الحيوانات يدفع بعضهم بعضا، ويتحركون بهذه الطريقة البدائية تعبيرًا عن الفرح...".**[2]

وهذه التصرفات الغريبة تصيب الآخر بالدهشة مما تدفعه لإلتقاط الصور غريبة إنه المجتمع البدائي في نظر الآخر المتقدم، **"استمر الامريكيون مدهوشين مأخوذين... ولم يتوقفوا عن النقاط الصـــور! وحتى وقت متأخر ظل الناس في حران يتذكرون هذه الليلة".**[3]

وأهل الصحراء **"الأنا"** في نظر الآخر لا يمكن فهمهم إلا لمن عاش فيها.

"هذه الصـــحراء الملعونة لا تلد إلا مثل هؤلاء البشـــر ومثل تلك الحيوانات التي رأيناها ونحن آتون".[4]

وحسب **سنكلير** فسكان الصحراء **"الأنا"** لهم صفات تختلف عن الآخر فهم يخففون أحزانهم بالبكاء، وهم قساة وتعبيراتهم المختلفة تكون في الأفراح والأقراح فـ **"البكاء يخفف عنهم، لكنهم قســاة عنيدون، ولذلك يبكون في داخلهم، تنزل دموعهم إلى الداخل، فهذه**

---

[1]– المرجع السابق، ص 261.

[2]– المرجع نفسه، ص 261.

[3]– المرجع نفسه، ص 261.

[4]– المرجع نفسه، ص 261.

الدموع الحزينة تطفو مرة أخرى على شكل صرخات وتوجع يسمونه غناء، وهم يفعلون ذلك في أعراسهم... وهو يفرحون!".[1]

وهكذا تتضـــح صـــورة الأنا من خلال وجهة نظر الآخر وكلما دققنا في هذا المتن جيدًا نجد أن الأنا المقاوم والأنا المنبطح فكلاهما لا يختلفان في نظر الآخر فهم بدائيون وحيوانات وأقل تحضرًا.

[1]– المرجع السابق، ص 261.

خاتمة

وختاما نقر بأننا توصلنا إلى عدة نتائج أهمها صعوبة تناول هذا الموضوع بشكل حيادي لما يمثله من تعقيد كما أن اختلاف وجهات النظر بين أرباب الفكر والثقافة جعلت هذا الموضوع شائكا ومحفوفا بالمخاطر.

وبالتالي فهذا المصطلح الغير منضبط في تعريفه ومفهومه تطلب منا التعامل بحذر.

والحقيقة أن هذا المتن الروائي توفرت فيه العناصر الأساسة التي رغبنا في دراستها مما أضفى حيوية على الموضوع.

ولأن عبد الرحمان منيف يجيد الاشتغال على الموضوعات الحساسة، فقد جاءت روايته مليئة بالنماذج المهمة في دراستنا، فمن خلالها عرفنا علاقة الأنا بالآخر وقضية الانتماء التي مثلها **"متعب الهذال"** والانبطاح المتمثل في السلطة تجاه الآخر وعليه بإمكاننا القول أن المتن خدم البحث لغة وأسلوبًا وموضوعات بحثية.

وقد لاحظنا من خلال الدراسة أن الاهتمام بهذا الموضوع يكاد يكون نادرًا.

فثمة دراسات ولكنها تعدُّ على رؤوس الأصابع إلا أن الفكرة في حد ذاتها تم تناولها في عديد الروايات، وكل ما ينقص في هذا المجال أن تلتفت الأقلام، وأن تلتف حول الموضوع دراسة تنقيبا وتفكيكا لأجل تقديم أطروحات أكثر وضوحا وذات أهمية ثقافية.

بيبليوغرافية البحث

- **القرآن الكريم**

أولا: المراجع

1)ابراهيم الكوفي: البئر، دار التنوير للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص، 1933، ط2.

2)أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر (قراءات تغذية في فكر حسن حنفي)، سلسلة رواد الفكر العربي المعاصر (1)، 1997.

3)إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الإنشاء)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط6، 2003.

4)برنارد لويس، الغرب والشرق الاوسط، تر: نبيل صبحي، د. د. ن، د. م. ن، د. س. ن.

5)بشلار غاستون: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط4، 1996.

6)تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ط1، بيروت، دار الساقي، 1999.

7)التهامي الهامي، الفكر الاستشراقي والاسلامي، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2010.

8)زكي الميلاد، تركي علي الربيعو، الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل، دار الفكر، دمشق، 1998.

9)سعيدة السعدي وآخرون، فهم الذات، دار سحر للنشر، الجزائر، 2007.

10) الشهرستاني، الملل والنحل، تر: محمد سيد كيلاني، بيروت، لبنان، 1986، ج1.

11) صـــلاح صـــالح، ســرد الآخر والآنا اللغة الســردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

12) صـــلاح فضـــل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، تر: نهاد التكربي، دار الشـــؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987.

13) الطاهر لبيب، صـــورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراســـات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.

14) عبد الحميد المحادين: جدلية المكان والزمان والانســـان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001.

15) عبد الرحمان ميف: مدن الملح" النية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط10، 2003.

16) عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف (البحث في نقد المركزيات الثقافية)، المؤسسة العربية للدراســـات والنشـــر، بيروت لبنان، دار الفارس للنشـــر والتوزيع، عمان الاردن، 2004.

17) عبد الله العروي، الايديولوجيا العربية المعاصـــرة، ط4، بيروت، دار الحقيقة، 1981.

18) عبد الودود شـــلبي، الإســـلام والغرب (خواطر وتجارب وذكريات)، دار الآداب، القاهرة، مصر، 2004.

19) عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية (دراسة في الحركات اليهودية–الهدامة والسرية)، دار الشروق، ط2، القاهرة، مصر، 2001.

20) محمد خاتمي، الإسلام والعالم، تقديم: محمد سليم العوا، مكتبة الشروق، القاهرة، كوالمبور، جاكرتا لوس انجلس، ط3، 2002.

21) محمد عابد الجابري، مسألة الهوية (العروبة والاسلام... والغرب)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001.

22) محمد عمارة: الانتماء الحضاري للغرب؟ أم الإسلام؟، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009.

23) محمد عمارة، الاسلام والآخر (من يعترف لمن، ومن ينكر من؟)، دار الشروق الدولية.

24) ميشال بوبتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ط2.

25) ميقان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا أو مصطلحا معاصرًا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

26) نادر كاظم، تمثلات الآخر (صورة السرد في المتخيل العربي البسيط)، المؤسسة العربية للدراسات وانشر، بيروت، لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004.

27) نادر كاظم، تمثلات الآخر، صورة السرد في المتخيل العربي البسيط، مملكة البحرين، ط1، 2004.

28) نادية محمود مصطفى، جدالات حوار "صراع الحضارات' (إشكالية العلاقة بين السياسي الثقافي في خطابات عربية وإسلامية)، مركز الحضارة والدراسات السياسية، القاهرة، 2006.

29) نادية محمود مصطفى، جدالات حوار صراع الحضارات (اشكالية العلاقة بين السياسي الثقافي في فضاءات عربية وإسلامية، مركز الحضارة والدراسات السياسية، القاهرة، 2006.

30) وول ديورانت، قصة حضارة (عصر الايمان)، تر: محمد بدران، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ن تونس، م3، ج2.

ثانيا: المجلات:

1)عبد الحميد شاكر: الوعي بالمكان ودلالاته، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 4313.

2)محمد دكير، الإسلام والغرب (شعر سنوات من المواجهة، المثاقفة، الحوار)، مجلة الكلمة، ع26، 2000، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث

3)يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر: قاسم دراز، عيون المقالات، دار البيضاء، العدد 08، 1987.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

1) http//: w ww. kalema. Net/ v1.

2) http://Saaid.net/ arbic/ 167.

الملاحق

كاتب وروائي سعودي، عد واحدا من أبرز الروائيين العرب في القرن العشرين، مزج الأدب بالسياسة وناوأ الأنظمة العربية. كتب ضد القمع واستلاب الحرية، اعتبره النقاد "مُثوّرا" للرواية، ووصف هو نفسه بالثائر الروائي.

المولد والنشأة

ولد عبد الرحمن منيف يوم 29 مايو/أيار 1933 بالعاصمة الأردنية عمان، لأب سعودي وأم عراقية، ينتمي والده إلى قرية قصيبا شمال مدينة بريدة بمنطقة القصيم، وهو من كبار تجار العقيلات الذين اشتهروا برحلات التجارة بين القصيم والشام.

الدراسة والتكوين

درس في الأردن حتى حصل على الشهادة الثانوية، ثم انتقل إلى بغداد والتحق بكلية الحقوق عام 1952، لكنه طرد منها بسبب نشاطه السياسي، فانتقل إلى القاهرة لإكمال دراسته بها، ثم غادر إلى بلغراد سنة 1958 لإكمال دراسته فحصل على الدكتوراه في اقتصاديات النفط.

الوظائف والمسؤوليات

عمل في الشركة السورية للنفط بدمشق عام 1962، وانتقل إلى بيروت عام 1973 حيث التحق بمجلة البلاغ، وعاد إلى العراق عام 1975 ليعمل في مجلة النفط والتنمية.

وفي عام 1981 غادر العراق إلى فرنسا ليعود إلى دمشق عام 1986 ويقيم فيها حيث كرس حياته للكتابة الأدبية.

التوجه الفكري

يصنف عبد الرحمن منيف واحدا من كتاب اليسار العربي، وقد انضم لحزب البعث العربي الاشتراكي أيام كان طالبا بالعراق ونشط فيه، فتسبب ذلك في طرده من العراق بعد توقيع حلف بغداد 1955.

وصف نفسه بالثائر الروائي، وظل واحدا من أشد المفكرين المناوئين لمعظم الأنظمة العربية، واعتبره الكثير من الدارسين منفيا سياسيا بسبب كتاباته التي انتقد فيها النظام السعودي، إلا أن الكتب التي سببت ذلك عرضت فيما بعد بمعرض الكتاب بالرياض، الذي تنظمه الحكومة السعودية.

ورغم معارضته الشديدة لنظام الرئيس العراقي صدام حسين، فقد ظل رافضا للغزو الأميركي للعراق سنة 2003 ولكل ما ترتب عليه، كما بقي إلى آخر أيامه معارضا "للإمبريالية العالمية".

التجربة الأدبية

عرف بغزارة إنتاجه الأدبي، ووصفه النقاد بأنه قدم أدبا شجاعا، وكتب عن المحرمات في السياسة، وضد القمع واستلاب الحريات والكرامة الإنسانية.

عمل –كما يقول إبراهيم درويش– على تثوير الرواية، والبحث عن "ثوار روائيين قادرين علي مواجهة الاستكانة والعجز العربي" وكرَّس حياته وقلمه للتأليف القصصي الموجّه، لقناعته بدور الأدب ووظيفته في كشف عيوب الواقع العربي، وانشغل بموضوعي القمع والنفط.

تبرز الأزمة الاجتماعية في رواياته من خلال تركيزه على ظواهر اجتماعية وأنماط محددة من العلاقات المتشـــابكة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وتظهر حدّتها في القمع والاستبداد ووضع المرأة واتساع الهوة ما بين الأغنياء والفقراء.

جعلته روايته "مدن الملح" معارضا للسعودية، وأحدثت روايته "شرق المتوسط" ضجة في العالم العربي، باعتبارها أول رواية عربية تصـف بجرأة التعذيب الذي تمارسـه الأنظمة الشمولية العربية.

الكتب والمؤلفات

أصـــدر العديد من الأعمال الأدبية، من أشـــهرها: مدن الملح، وشـــرق المتوســـط، والأشـــجار واغتيال مرزوق، وحين تركنا الجســـر، وعالم بلا خرائط بالاشـــتراك مع جبرا إبراهيم جبرا.

كما أصـــــدر كتبا من بينها: لوعة الغياب، والديمقراطية أولاً... الديمقراطية دائما، والكاتب والمنفى وآفاق الرواية العربية، والعراق هوامش من التاريخ والمقاومة.

الجوائز والأوسمة

حصـــل على عدة جوائز من أبرزها جائزة القاهرة للإبداع الروائي، وجائزة ســـلطان العويس بدولة الإمارات العربية المتحدة.

الوفاة

توفي عبد الرحمن المنيف يوم 24 يناير/كانون الثاني 2004 بسوريا

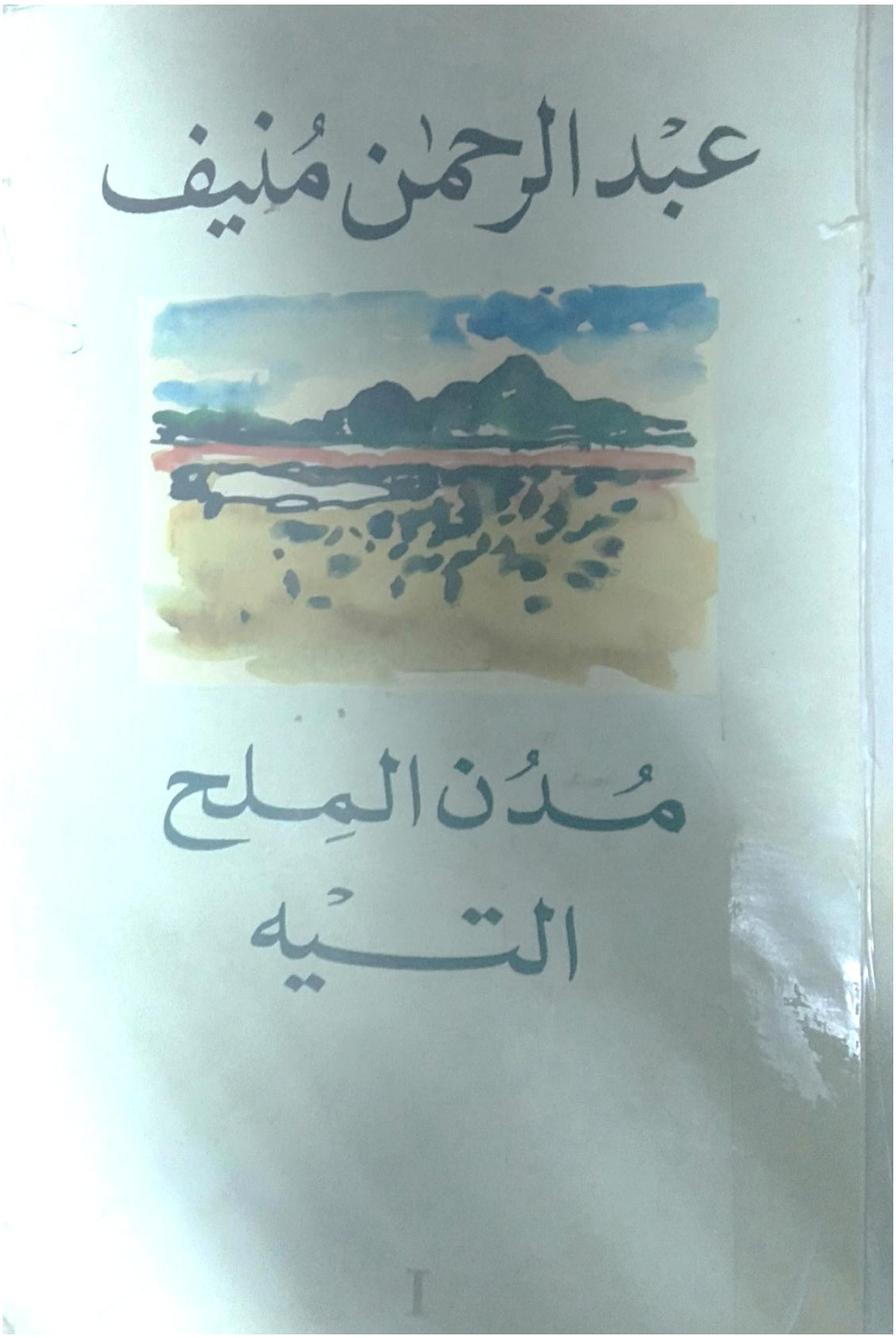
عبد الرحمن منيف
مدن الملح
التيه

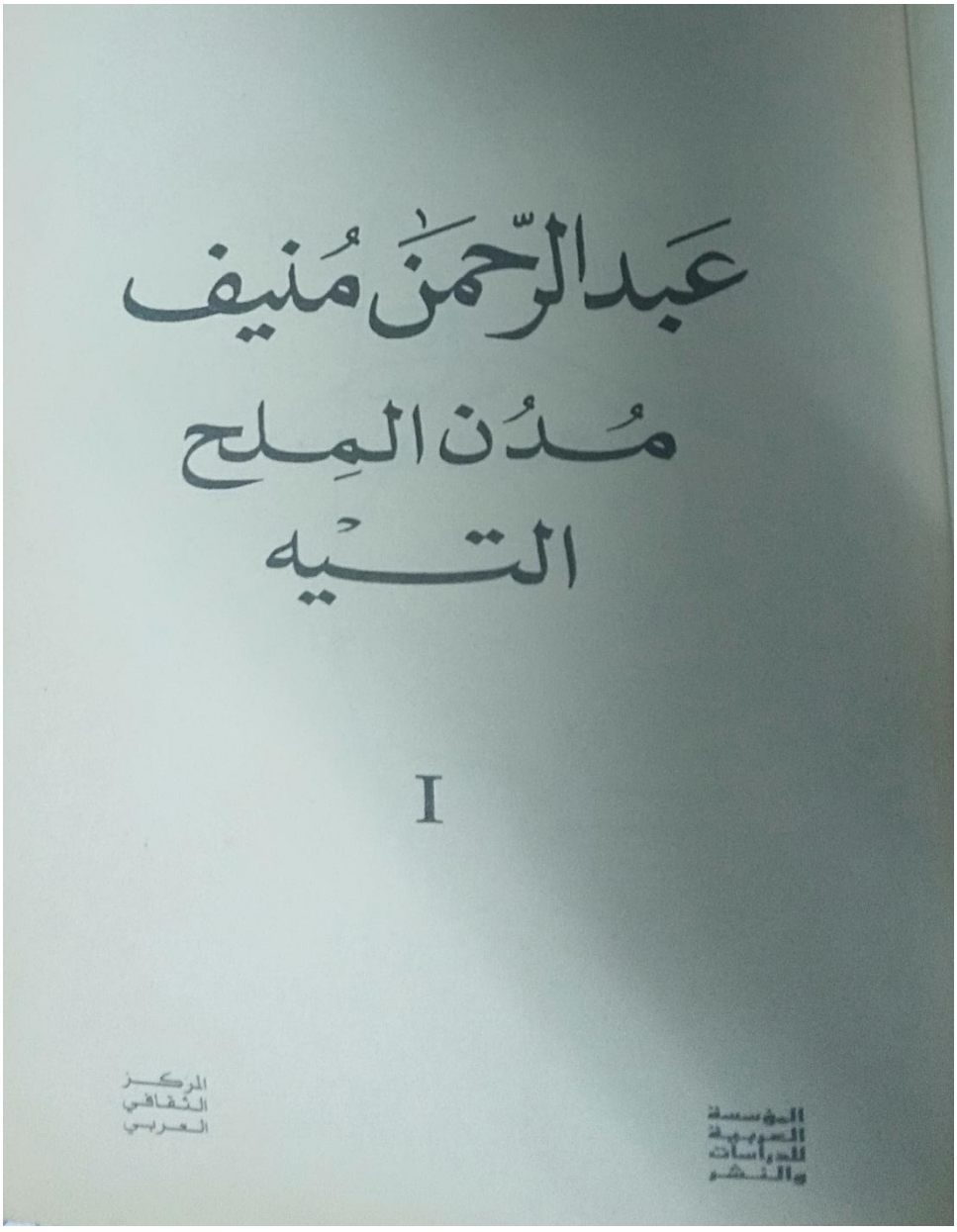
عبد الرحمن منيف
مدن الملح
التيه
I
المركز
الثقافي
العربي
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

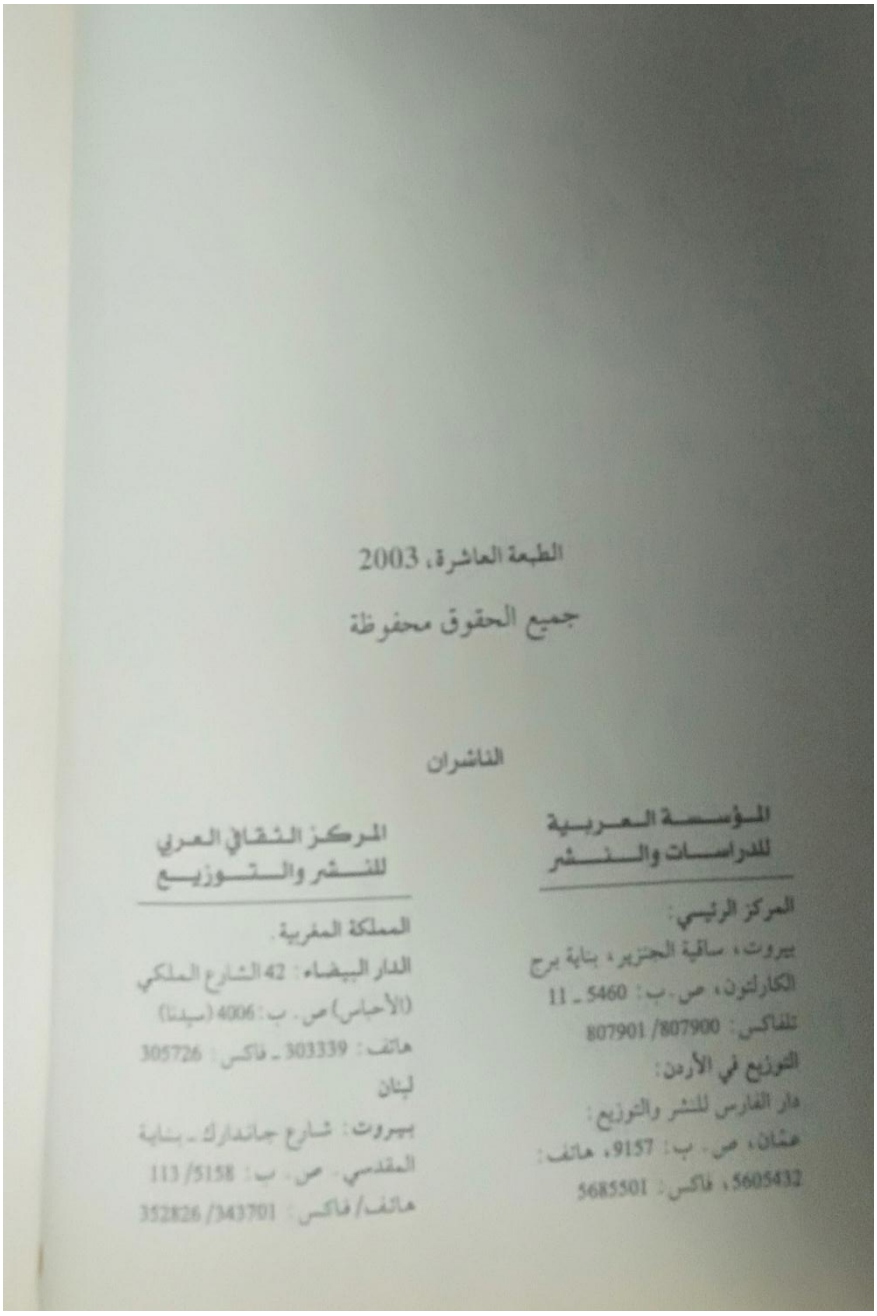

الطبعة العاشرة، 2003

جميع الحقوق محفوظة

الناشران

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، سالمية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص. ب: 5460 ـ 11
تلفاكس: 807900/ 807901

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع:
عمّان، ص. ب: 9157، هاتف: 5605432، فاكس: 5685501

المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع

المملكة المغربية.
الدار البيضاء: 42 الشارع الملكي (الأحباس) ص. ب: 4006 (سيدنا)
هاتف: 303339 ـ فاكس: 305726

لبنان
بيروت: شارع جاندارك ـ بناية المقدسي. ص. ب: 5158/ 113
هاتف/ فاكس: 343701/ 352826

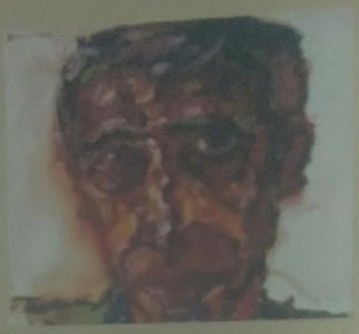

عبد الرحمن منيف

من مؤلفاته:

- أرض السواد(3أجزاء)
- الأشجار واغتيال مرزوق
- سباق المسافات الطويلة
- شرق المتوسط
- عروة الزمان الباهي
- بين الثقافة والسياسة
- النهايات
- لوعة الغياب

الرسم والتصميم:
مروان قصاب باشي
الإخراج آنيا مورينغ
و يزن قصاب باشي
صورة الكاتب:
تفاصيل من لوحة
لمروان قصاب باشي
خط الغلاف: محمد قنوع
اشراف فني : حاتم الحاج حسن

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: جدلية الآنا والآخر	
1/ الفرق بين الأنا والآخر:	**04**
2/ مفهوم الآنا في الثقافة الغربية:	**06**
3/ ثنائية الإسلام والآخر:	**12**
4/ الحوار مع الآخر:	**20**
5/ الانتماء الحضاري:	**22**
6/ الزمكاني في الرواية (الزمان والمكان):	**25**
الفصل الثاني: الانتماء في المتخيل السردي وعلاقته بالآخر	
1/ تقديم الرواية:	**30**
2/ المكان في السرد الروائي:	**31**
3/ الآنا مقابل الآخر:	**35**
4/ الأنا والرفض والانتماء:	**39**
5/ الآخر في نظر الأنا:	**43**
6/ الأنا في نظر الآخر:	**48**
خاتمة	**54**

بيبليوغرافية البحث	56
الملاحق	61
فهرس المواضيع	69
الملخص	

مذكرة بعنوان: الانتماء الحضاري في رواية التّيه

لـــ: عبد الرحمان مُنيف

إعداد: نزيهة بيازة **إشراف الدكتور:** إبراهيم رزقي

صادق ربيعي

الملخص:

تطرقنا في بحثنا المرسوم بالانتماء الحضاري في رواية النية لعبد الرحمان منيف إلى الأنا والآخر ومفهومها من وجهات نظر فكرية وتناولنا المكان وعلاقته بالانتماء من خلال السرد وكذلك أهمية الانتماء الحضاري ومفهومه.

وقد عملنا على نقل هذه الأفكار وتجسيدها على جانب التطبيقي.

Résume

Dans notre discussion du décret d'appartenance civilisationnelle dans le roman d'intention par Abderrahmane Munif à l'ego et l'autre et son concept du point de vue intellectuel et a abordé le lieu et son rapport à l'appartenance à travers le récit ainsi que l'importance de l'appartenance culturelle et son concept.

Nous avons travaillé pour transmettre et incarner ces idées sur le plan pratique.

Abstract

In our discussion of the decree of civilizational belonging in the novel of intent by Abderrahmane Munif to the ego and the other and its concept from the intellectual point of view and addressed the place and its relationship to belonging through the narrative as well as the importance of cultural belonging and its concept.

We have worked to convey and embody these ideas on a practical level.